[illegible]

حظ الليالي

بحكايات ونوادر الملوك

يحتوي على حكايات الملك بدر الدين . والملك الحزين
و[illegible] . وسيدنا سلمان . والأسير . وأبو فصادة
والخير والشر . والوزير وابنه قبيح المنظر . والرجلين

حكايات أدبية . أخلاقية . اجتماعية . دينية
تدل على أخلاق الملوك وحسن آدابهم

محمود حمدي صبيح
صاحب مطبعة [illegible] التجارية
الكائن مقرها بجوار جامع الأزهر الشريف بمصر

حديث الليالي

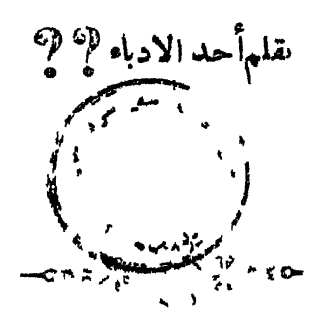
حكايات ونوادر الملوك

تحتوي على حكايات ملك بدر الدين . والملك الحزين وملك الهند ، وسيدنا سليمان ، والنسر ، وأبو صياده والطير والشجرة ، والوزير وابنه وبديع المنظر ، والرجلين

حكايات أدبية . اجتماعية . دينية

تدل على أخلاق الملوك وحسن آدابهم

بقلم أحد الادباء



طلب من

محمود علي صبيح

صاحب المكتبة [illegible] التجارية

[illegible] الأزهر الشريف بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

حكي أن ملكا من ملوك الزمان اسمه بدر الدين وكان مشهورا بالعدل والاحسان وكانت مملكته واسعه مشيدة بالحصون والقلاع وله وزير عاقل مدبر وقد سلمه الملك زمام مملكته وكان الملك لم يرزق بغير غلام اسمه الهام وقد انهمك بحبه وقد سلمه لوزيره وصار الوزير يخدمه بنفسه ويسعى في جلب مايطلبه واستحضر له المعلمين والفلاسفة وصار ملازما لهم فتقدم الهام في المعارف حتى بلغ من العمر خمسة عشر سنة وفي كل شهر يخرج مع الوزير للتريض كما يشاء حتى حان وقت الامتحان فلما كان ذلك اليوم المشهور احضر الملك كل مهندس ومعمار وحضر كل أستاذ وفقيه وتقدم الهام للامتحان فكان يجاوب عند افتتاح السؤال بكل معنى حتى انتهى امتحانه في اقرب وقت على احسن حال فرفع الملك صوته قائلا سأخبركم ايها العلماء الفضلاء والامراء العظام أن ولدي قد بلغ من السن خمسة عشر سنة وأملي انشاء عماره يكون بها مايليق في القصور الشامخة والسرايات العامرة والمروج والبساتين الفاخرة لوليمة زفافه ويكون كل ذلك في أحسن موقع وأطيب بقعة وأصفى هواء

فاهتز من بالمحفل طربا وقاموا على أقدامهم وقبلوا الاعتاب بالتشكر لهذه البشارة وتبريكا بالامتحان ثم دعا الملك بالمهندسين وأتباعهم وأمرهم بجلب المهمات النادرة من اماكنها كاخشاب الابنوس والرخام الملون وما أشبه ذلك فطار قلب الهام من الفرح فقام وقبل يد ابيه فقبله أبوه بين عينيه وأتحفه بما يليق من نفائس الجواهر وصار ينعم ويوهب على الرعايا كما جرت العادة بذلك لابناء الملوك وفي الحال قام الوزير والمهندسين في ترتيب العمارة واحضار المهمات والادوات اللازمة من أثاث وموبيليات

٣

انتهى الامر علي أحسن حالة فاقبل على الملك وأخبره ثم استاذنه بخروج الهمام الي العمارة الجديدة فامر الملك باعمال الموكب وخروج ابنه كما أشار الوزير فكان ذلك وكان بين مدينة الملك والعمارة الجديدة ست ساعات للفارس المجد

فمكث الهمام ثلاثة شهور بالعمارة الجديدة وكان دائماً يخرج الى البساتين والمروج للتريض والنزهة والوزير ملازماً له

وفي يوم خرج وحده وتجول حتى وصل بستان فدخله وصار يتمخطر فيه غدواً ورواحا وهو يتفرج علي مافيه من الاشجار والازهار الى وقت المساء فسمع شخالة في الجو كانها رنين النواقيس فرفع نظره ليرى المسبب لذلك واذا بانوار ساطعة قد زغللت عيناه فاندهش فوق التصور حتى حسب نفسه أنه بوسط حريق هائل فاخذ ينظر من رأسه الى قدمه وجدها كلها نور في نور والشخالة تزداد شيئا فشيئا وكان واقفا قريبا من بركة بوسط البستان فرجع الى الوراء عدة خطوات وصار ينظر واذا بسبعة وزات كانهن مخلوقات من الذهب الوهاج نزلن في وسط البركة وكانت الشمس قريبة من الزوال فاخذن يعمن في الماء والماء يتحول من زرقة الى خضرة فضة واصواتهن مثل صفير البلابل فحار ابن الملك واندهش لجمال صنع هذه الوزات ووقف يتعجب علي مخلوقات الله السرية وبينما هو على هذه الحالة بين التعجب والاندهاش واذا بهن قد انتفضن وتحولن من سبعة وزات الى سبعة بنات لم تر العين مثلهن قط ولهن أصوات تبارك الخلاق فيما خلق فذعر ابن الملك وحسبهن من أولاد الجان فلم يتمالك نفسه دون أن سار متقدما اليهن نحو البركة فوجد مياهها قد اخضرت وصارت كسرف رجل الله الصالحين خضراء فى خضراء ثم جلست واحدة منهن على حرف البركة قد علم ابن الملك انها أم الست بنات لانها قالت

عند جلوسها آه يا الهي يامن لا يعرف له مكان ولا يستدل على رؤيته انس ولا جان خلقتنا ضعيفات القوى وأحرمتنا من الاوطان وجعلتنا طيوراً تحوم حول البلدان فهلا تخلصنا من هذا الذل ياقديم الاحسان فوقع هذا الدعاء على قلب ابن الملك الذى لم يفهمه تماما وقوع الماء البارد في جسم الانسان وتخيل له أنها كانت تغني على العود والناى فدمعت عيناه وأراد أن يظهر ولكنه تجلد ثم قامت الام مرة ثانية وقالت يا ولدى آه ماأقسى قلبك وما أبعدك عن أمك تركتها وهي الحزينة الكئيبة هجرتها وهى الحبيبة العزيزة . نسيتها وهي المشفقة الحنونة . تري أين أراضيك . ترى هل أنت عائش في رغد العيش سلام الله عليك يا ــ وأنت أيتها الاشجار ارمى باوراقك الى الارض . غيضى أيتها البركة من أمامي . اختفى أيتها المناظر من وجهى . سلام الله عليك ياولدى يامهجة قلبي ثم نهضت الستة بنات اللواتى حولها وولولن كانهن ثبوراً وما زلن على هذه الحالة حتى الفجر فقمن وتوضأن وصلين صلاة الفجر ولما أتممن صلاتهن صرن سبعة وزات بريش ذهبية ــ فنظر ابن الملك الى ورائه وجد الوزير واقفا كالصنم لا يبد خطابا ولا ياتى بجواب ــ فقال له ماالذى أتى بك فى هذا الوقت أيها الوزير فصار الوزير يتنحنح ويبح فى صوته حتى قدر على الكلام فقال يا ابن مليكنا انى واقف ورائك من بعد العشاء لانى انتظرتك فى ميعادك فلم تحضر فخرجت للبحث عنك فوجدتك كما أنت فحصل لى ذهول ولم أفق الا الآن فقال ابن الملك للوزير وحق حرمة آبائى وأجدادى ودمه العرب لقد رأيت العجب العجاب ولقد شعرت من الدهر بسر مكشوف وانى أقسم بشرفى وتاج ملوك الارض باجمعها ان هؤلاء الوزات ستة بنات وامهن مسحورات ولا بد ان أعرف تمام حقائقهن فقال الوزير لابد من انقاذ هذه الارواح الطاهره ثم رجعا وناما الى مابعد العصر ولما

فقاما من نومهما توضيا وصليا ماعليهما من الفرض وأكلا بلهفة وخرجا
بدون أن يشعر بهما أحد وذهبا الى البستان وجلسا بالقرب من البركة
وكانت الشمس قد مالت الي الزوال واذا برنين الشخللة يدوى فى الهواء
وأشعة الانوار تتساقط كانها شموس تضيء وأخذت فى الازدياد حتى
صارت كانها كومة نور باهر وهنالك قال الوزير هلم بنا ياولدى لنكشف
الحقائق ونميط اللثام عن هذه الاسرار الغريبة ولوكن كالحجر الجلمود
فلا تخف مادمت مرافقك . فقال ابن الملك سر أيها الوزير على بركة الله
وعلى ان أتجلد بقدر تجلدك ولما ساراوجدا الوز يقوم فى البركة وقد اخضرت
مياهها وصارت كشرف رجال الله الصالحين خضراء فى خضراء ثم خرجن
من البركة وكان الليل قد أقبل وتحولن سبعة نساء من اجمل ماخلق الله فصلين
ماعليهن من الفرض ثم جلست الام كانها بدر منير واحاطتها البنات كانهن
نجوم السماء فتقدم اليهن ابن الملك منفرداً وابتدأهن بسلام رقيق فرددن
عليه باحسن من سلامه فطيب خاطرهن وأخذ يتجسس تاريخهن فقالت
الام لاتحاول شيئا تراه من المحال فاننا مامورات لانبوح بالاسرار الا لمن
يعلمها وهو العزيز الستار فدع عنك هذه العثرات لئلا نهلك جميعا واكتف
منا بان ترانا كما ترانا واذا أردت زيادة المعلومات فعليك ببلاد الجواهر
والماس ترى سلطانا صاحب مقاطعات فقل له (بعد السلام والتحيات
ماذا فعل الله بالسبع وزات فان قال لك عليهن الرحمات أصبحن اليوم من
بنات الممات فقل له وحق الله السبع أراضي والسبع سموات ماماتت السبع
وزات صاحبات الريش الذهبيات . ولا نامت عيون الاحياء الصابرات
وان طال العمر وبقيت الحياة . واجتمعت البعيدات بالقريبات . لنرفع
الايدى من السلام والتحيات . ونصون النفس من التجمل والمودات
ونقول ياعين سحى بدمع الشكلات . على أحبة رمونا بالهجر والقطعيات

ومن أبعلهم صرن طيوراً في الفلوات فلا أكثر الله من أيام الفراق والشتات) وما زال معهن هكذا في كلام ولم يستفد منهن غير الفاظ لم يفهمها وكان جاء وقت الفجر فطرن السبع وزات الى السماء بعد ماقضين صلاة الفجر فاغتم ابن الملك وأشار للوزير لانه كان ينتظره طول ليلته فقال دبرني أيها الوزير فقال له الأحسن اننا نمسكهم ونعودهم الى العمارة الجديدة وفيها بعد نجتهد في خلاصهن فقال ابن الملك هذا الصواب ولكنهما حاولا عبثاً حيث ان ابن الملك انتظرهن أكثر من ثلاثين ليلة ولم يعف لهن على أثر فغادر البستان والعمارة الجديدة وذهب الى مملكة أبيه حزينا مهموما . ولما رآه والده على هذه الحاله الغير سارة سال الوزير لماذا هو منحرف المزاج فاجابه انه مريض جداً ولعله يكون من تغير الهواء وقد أنكر الوزير ماشاهده من رؤية السبع وزات لان ابن الملك شدد عليه في اخفاء ماشاهداه من أمرهن وبعد أيام قلائل رمى ابن الملك بنفسه على سريره يفرك في جبهته ويتمرغ من جنب لآخر يتأوه ويبكي وقد لبس أهل المدينة ثياب الحزن عليه والحكماء تكاثرت وتوازرت ولا شفاء وجل الخطب وما عاد يسمع في المملكة سوي أحاديث مرض ابن السلطان. ولما طال المطال على ابن الملك وقد يأس من حالته وتمثلت أمامه صور وأجسام السبع وزات ذوات الريش الذهبية انسحب خفية هو والوزير وأخذ المؤونة الكافية والزخيرة الوافية وجالا في البلاد ابتغاء العثور على ممالك الجواهر وكنوز الذهب وهما كلما سالا عنها قيل لهما امامكما الى أن قطعا الفيافي الكبيرة والبوادى الشاسعة حتى وصلا امام مدينة عليها سور من حديد وعلى أبوابها خفراء متسلحين ومرتدين بالملابس السوداء فحينما أرادا الدخول سالهما البواب من أنتما وما شانكما ولماذا جئتما الى هنا وما الذى ترغبان فيه وكان يكلمهما بكل حدة وشراسة فقالا له نحن

غريبان من سواح الاقطار جئنا لنستريح في هذه المدينة أيام قلائل ونعود فيما بعد الى سياحتنا فقال لهما اذا كان الامر هكذا فاشلحا هذه الثياب البيضاء والبسا غيرها سوداء واياكما ان تظهرا سروراً داخل هذه المدينة فتروح ارواحكما وتموتا سريعاً فاشار له بالسمع والطاعة ودخلا الى اسواق المدينة فرأيا الناس على دكاكينهم ساكتين لايتكلمون والبضائع كلها معطاة بالسواد والبيوت عليها رايات الحداد ودواوين الحكومة مقفلة معطلة وبالاجمال فكانت المملكة كانها قبور أموات مضي عليهم مئات من السنين بهذه المناظر الخشنة فجعلا يطوفا في شوارعها حتى انتهيا الى فندق معد للمسافرين فدخلاه وباتا تلك الليلة وفي اليوم الثانى خرجا وطافا بالاسواق من جهة الى اخرى حتى امسى المساء وهكذا مدة ثلاثة شهور وكلما سالا عن السبب فلم يجبهما احد بخلاف لااعلم وكانا في هذه المدة قد تصاحبا مع رجل حلاق وقد ابذلا له الدرهم والدينار حتى استأثراه بالانعام واستغرقاه بالعطايا على امل ان يسالوه عما يريداه وقد تمكن حبه لهما لانه اصبح صاحب ثروة عظيمة ففى ذات يوم من الايام كان الحلاق جالسا يشكرهما ويقول انى مستعد الى خدمتكما فاذا كان لكما حاجة اومصلحة فانى اقضيها لكما فقال الوزير للحلاق اماماقدمناه لك فهوشيء قليل جداً بالنسبة لما نريد تقديمه لك وما ذلك الا لما رايناه فيك من الخلوص والوفاء والشيء الذى نريده منك هوان تخبرنا عن سبب حزن اهل المدينة ولبسهم السواد وتعطيل المحاكم وغلق اغلب محلات التجارة . فلما سمع الحلاق كلام الوزير ارتجف ثم اطرق برهة يتفكر وبعد ساعة رفع راسه وقال الذى تسالنى عنه لايمكننى التكلم فيه ولكنكما ان اردتما ان تعرفا الحقيقة فعليكما بالخروج من هذه المدينة عند الغروب وتسيرا حتي ينقطع عنكما نظر الخفراء ثم ترجعا من وراء الجبل الذى تنظراه خارج المدينة حتي تقربا

معه وتصعدا الى اعلاه تجدا دكة على قمته فتجلسا تحتها تجدا مرغوبكما
ثم انهما قاما وسارا يتمشيان حتى جاء الغروب فخرجا من المدينة وعند
خروجهما أغلقت الابواب من ورائهما فسارا حتى أظلم الجو وكان الظلام
شديداً جدا فرجعا من وراء الجبل حتى قربا من المدينة ثانيا وصعدا كما
أخبرهما الحلاق فوجدا دكة من حجر فجلسا من تحتها مستترين بقوائمها
الضخمة وصارا هكذا فى سكون وسكوت حتى مضى من الليل أغلبه فسارا
يتمشيان الى أن جاء وقت الفجر فسمعا وقوع أقدام من بعد فاختفيا كما
كانا و بعد برهة تقدم ثلاثة أشخاص عليهم سيمة العظم والاجلال حتى
وقفوا أمام الدكة فصعد احدهم بمساعدة الآخرين ثم تركاه وانصرفا
راجعان من حيث أتوا فانصتا الوزير وابن الملك الى من صعد الى اعلا
الدكة واذا به يبكى ويتضرع الى مولاه و يستغيث الى ان قال فى آخر
دعائه اللهم عرفنى حقيقة امي واخوتى فاذا متن فالهمني الصبر واذا كن
على قيد الحياة فارددهن الى ولا تفرق بينى و بينهن يامن لا تخيب دعوة
الداعي اذا دعاك ياالله يارحمن يارحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه وسلم. فنظر الوزير الى الهام بن الملك وقال ابشر يامولاى فقد وصلنا الى
من نبحث عنه ثم انتصب قائما ووقف امام الجالس على الدكة فوجد
ملكا عظيما يبلغ من العمر اثنى عشر سنة وهو باسط كفيه والدموع منحدرة
من عينيه وعند مانظر وزير الملك افتكر انه احد وزرائه فقال له اين
الوزير الثاني فقال الوزير لست بوزيرك أيها الملك المهاب انما جئتك رسول
من قبل أمك واخوتك واسمعه ماقالته أمه واخوته السبع وزات صاحبات
الريش الذهبيات فلما سمع الملك آخر كلامه أغمي عليه وخر من على
الدكة ساقطا الى الارض فاسرع الهام بن الملك والتعاه بيديه على صدره
وهو فاقد الشعور و بينماهما واذا بالوزيرين الذى تركوه قد اقبلا فعند

ماانظرا ملكهم محمول على صدر أحد الغرباء اخرجامن جيبهما سفارتين وما
أتما النفخ فيهما الا والجبل قد ارتشم بالقواد والعساكر شاهرين عليهما
السلاح وقد أخذوهم فى الحديد مكبلين وحملوا ملكهم ورجعوا الى المدينة
وعند ماأفاق الملك أمر باحضارهما فحضرا بين يديه فامر بفسك قيودهما
وبخروج جميع من في القصر واستدعاهما الى جانبه وتلطف لهما في المقال
طالبا منهما العفو عما فرط من رجال حاشيته وسألهما ان يقصا عليه خبر
اخوته السبعة وزات ذوات الريش الذهبيـة من جديد فانحنى ابن الملك
خضوعا وأطاع الامر وشرع يسرد مارآه بالعين بالحرف الواحد وما كان
من حديثهن معه وكيف جاء البلاد وتحمل المشقات والاخطار من اجل
ان يوقف جلالته على خبرهن . فكان لذلك الحديث أعظم وقع مؤثر في
نفس الملك الذي كان يتأوه لدي كل كلمة وكل لفظ كان ينطق به ابن الملك
في سياق حديثه آسفا وحزنا على ماجرى لاخوته وأقسم بشرفه وشرف
آبائه انه يهب نصف مملكته لكل رجل أو امرأة تحل طلاسم السحر
وتخلص اخوته من جنسية الطيور الى اشكالهن الآدمية وطارت الاخبار
وانتشرت الانباء في كل محل ومكان فتوالت المنجمون وأرباب الخبرة
بالسحر والطلاسم على سراية الملك وشرع كل منهم في ان يظهر مقدرته
العلمية في هذا الفن ولكنهم لم يهتدوا لحل به يخلصون السبعة وزات من
خلقتهن الطيورية الى الجنسية البشرية وتفرقت أفكارهم وتشعبت آراؤهم
واختلفت أقوالهم حتى ضاق الملك درعا وحنق عليهم وأمر بان تضرب
رؤسهم بالفوس جراء ادعائهم وكذبهم فيما يقولون ومضى على ذلك نيف
العشرين يوما كان ابن الملك ووزير أبيه ضيفين كريمين في سراى الملك
يتمنيان من خالص فؤادهما ان يربا انسانا يفك سحر السبعة وزات الى
ذات يوم جميل صفا وقته اختلى الملك بالوزير والهام وقال لهما اخـبراني

عن السبع وزات فقام الوزير امام الملك وتقدم وبافصح لسان تكلم وتمنى على الملك انه يخبره عن قصة والدته واخوته فاسمعه الملك قصته

كانت تقيم عجوز شمطاء مع ابنة لها سوداء في الجبال الشمالية وكانت هذه العجوز خادعة ماكرة ذات خبرة قوية بالطلاسم والسحر وسائر أعمال الكهونية فكانت تستطيع أن تغير مياه البحر بكلمة وتحرك الجبل بصيحة وتحول الآدمي الى ماتريد بهمهمة ودمدمة لايفهم معناها الا العفاريت وكانت معلومة جيدا لدى كل الشعب بانها ملكة الجن التى يخضع لعظمتها كل مارد عنيد و يطيع كلمتها كل شيطان رجيم فكانت الناس تتقي شرها وتهرب من وجهها وتتباعد عن كوخها ويقولون لبعضهم ان كل من يدنو منها فلا يسلم من أن تسجنه في سابع أرض وترميه الى أسفل سافلين ولما سرت فظائعها وشاعت فضائحها تضايق الملك وشكا الى وزرائه وطلب منهم المشورة وكان ضمن الوزراء أعداء ألداء في صفة أحباء أمناء فاتفقوا على ان يتزوج ابنتها و يأتى بها الى سرايته و يجتهد في هلاك أمها متى صارت داخل بيته وبذلك يحسم المخاوف ويخلص الشعب من مكائدها وفعلا تزوج السلطان بابنة العجوز الساحرة طبقا لكلام وزرائه الخائنين فتاثرت زوجته التي هي ام اولاده الست بنات

وكانت تسمى الملكة حياة الارواح التى هى أم أولاده وكان الولد هو أكبر اخوته ويسمى عمرشاه وكانت أكبر البنات تسمي وردشاه ومن تحتها نورشاه وبدر شاه وقمر شاه وبستان شاه ويسمين شاه وخافت على أولادها وأقامت بمعزل عن زوجها ولما دخل الملك على ابنة العجوز لم تحمل منه فتكدر خاطرها وأظهرت استياءها الى والدتها العجوز وشكت لها شماتة ضرتها صاحبة الاولاد فهدأت روعها ووعدتها بان تمحو آثارهم الجميع ولما خرج الملك لمامورية في ضاحية بلاده جاءت

العجوز ودخلت المنزل خفية فرات الملكة جالسة وحولها بناتها الست يتضاحكن فيه ويلاعبن ولما رأينها امامهن قمن على الاقدام واقفات وقد أخذ الرعب منهن مأخذه وصرن لا يبدين حراكا ولا كلاما أما العجوز فصرخت في وجوههن بصوتها المرعب المخيف قائلة . اليوم يافاجرات أسحركن الى ادني الحيوانات واشتفي لا بني منكن ولا أدع لكن ذكرا بين الورى. فاسرعت البنات واختفيت في مواضع مختلفة وجثت الملكة على ركبتيها امامها والدموع تنحدر من آماقها وحالها مؤثرة محسرة واستجمعت كل قواها وهى فى شدة الارتعاش قائلة. رحماك أيتها العجوز فانى مسكينة ولا ذنب لى مع ابنتك فاشفقي على وعلى اولادي هؤلاء الصغار . وأتبعت هذه الكلمات تاوهات يحن لها القلب القاسى ويرثي لها المجرم القاتل غير ان العجوز هزت باكتافها وتمايلت برأسها ولم تظهر ادني تاثير وزادت على صلابة قلبها وقساوتها هذه الجملة انى ياعاهرة لا انخدع لكلامك ولا أتاثر من انفعالاتك الكاذبة فقومى واظهرى بناتك المختبئة واستعدى لان احول صورتكن من هذه الخلقة البشرية الى صور الحمير او البغال وتاكدي بانى لابد وان اعمل هذا العمل ولو ملأت الجو صياحا والدنيا نواحا . فقالت الملكة اللهم اعطينى القوة والهمنى الصبر على هذا المصاب وانت ايتها الارض المغبرة الوجه قد استودعت سطحك ولدى وفلذة كبدي عمرشاه وأنت ايتها الدنيا السريعة الانقلاب اشهدتك على مافعله زوجي ويا الهي العادل كن على ماتفعله هذه العجوز رقيبا وشهيدا وختمت حديثها هذا بترديد زفرات حره وسقوط دموع مره وقدمت نفسها الى العجوز قائلة والحمق يكاد يخنقها . تقربي تقدمى ياعجوز السوء واعملى في ماتريدين وها بناتي ضحايا بين يديك فاسحري أولا تسحري فسيجازيك إله منتقم عادل فسيجعل الله لك من ياخذ بحقنا والله نعم المصير

فتقدمت العجوز وقلبها يكاد يتميز من الغيظ وأخذت في يدها قدح من ماء وهمهمت ودمدمت وبحلقت بعينيها ومدت في صدرها وأخذت تلتفت يمينا ويساراً كأنها تشير الى العفاريت ثم رشت في وجوه الملكة وبناتها قائلة

همبروشن . عطروشن . جلجوشن . دقطاش . هيااخرجن من هذه الاجسام الآدمية الى سبعة وزات ذوات ريش ذهبية اذا طرن شخشخن في الهواء وان عمن خضرن الماء وان صرن في أعالي الجو كن نجوما ذوات زهو وان صرخن في السماء اضحكن من على الغبراء نهاركم ليلكم وليلكم نهاركم في المساء بنات وفي النهار وزات

ولما انتهت من عزيمتها تحولن الى وزات وطرن في الجو وعلون في الهواء وخرجت العجوز الى بيت ابنتها وأعلمتها بما عملته فطاب قلبها وانسر خاطرها

ولما رجع ابن الملك مع والده افتقد الملكة وبناتها فشعر بقلبه كأنه يدور من الحزن واصفرت واخضرت الدنيا في وجهه وصارت في نفسه أضيق من سمسمة فقفل الباب وعاد راجعا الى ابيه والسيف مسلولا في يده قائلا له . الآن أيها الرجل المنخدع لامرأة أضعف من بعوضة اقتلك بهذا الحسام وآخذ بثار امي واخوتي واهدم الملك على رأسك جزاء تهاونك في امورنا وضياعك حقوقنا . فقال الملك بلهفة شديدة وما ذا أصاب امك واخوتك فقال له انت ادرى منى بهن وعندك الخبر الصحيح وأراد ان يضربه فاذا هو قد ولى هاربا الى حيث لا يعرف له مقر ولا مستودع فخرج من ديوان السلطان فصادف العجوز فضربها بالسيف صفحا فوقعت على الارض طائشة العمل فامر الحواد بتكتيفها ووضع عقلة في حلقها خوفا لا تفلت من يده وتسحره كامه واخوته ولما علمت ابنتها قفلت باب بيتها فامر بهدمه عليها وللحال نفذت اوامره وفرح به الشعب ورحب

به الوزراء وجلس علي كرسي المملكة بدل ابيه ثم صار جميع من في المملكة حزين على أمه واخوته . والوزراء أشاروا عليه بعدم قتل العجوز خوفاً من وجود امه واخوته على قيد الحياة لانها اذا قتلت انفك سحرهن ولربما يكونن في بحر فيغرقن أو جبل فيتوهن ثم ابن الملك اتخذ الدكة التي علي قمة الجبل فكل ليلة عند طلوع الفجر يخرج من المدينة بين الوزراء ويصعد الى أعلا الجبل حتي يرتقي أعلا الدكة فيتركونه واما هو فيصلي فرض الفجر ويدعو الله ان يجمعه بامه واخوته وهذه قصتي فتعجب الوزير والهام بن الملك من هذه القصة واحكيا للملك عن امرهما وما جري لهما مع السبع وزات فبكي الملك حتي غشى عليه ولما أفاق قال له الوزير دع عنك البكاء وهيا بنا نجتهد في جمع شملكم فقال الملك لا حول ولا قوتي مع هذه العجوز الساحرة التي لا يمكنى تحويل العقلة عن حلقها لحظة لانها باقل كلمة من شفتيها تحرق المدينة ومن فيها فقال الوزير دعنى لها وانا أكفيك شرها فقال له الملك اتعرف من السحر شيئاً فقال لا ولكني وزير لملك مثلك ادبر كل امر خطير بالحيلة . قال وما الذي ترغبه قال أريد أن أكون قائداً لحراس العجوز و بصحبتي الهام ابن الملك وجميع الحراس يكونون تحت امري فاجاب طلبه وفي الحال استلم السجن ونفذ أوامره وافتقد المسجونين حتي عرف مكان العجوز وفى صباح يوم امر باحضار تنور ملآه من الفحم الحجري واطلق فيه النار حتي التهب الفحم فجاء بحربة طويلة ووضعها فوق الفحم وتركها حتي التهبت فغير ملابسه بملابس خضراء في خضراء وكان أوصي الهام بفتح السجون وفك المسجونين فكان ذلك وصار يصيح بأعلا صوته و يقول ان ملاك من السماء هبط الى عند الملك وفي يده حربة من نار وامره بفك سجن العجوز الساحرة فابى الملك فضربه

بالملك بالحربة فقتله وكانت العجوز تنظر ذلك وتسمع ولا تقدر على الكلام حتى ان وصل الهام اليها وفك قيودها وانزلها من الخشبة عن حلقها واذا بالوزير داخل وبيده حربة من نار وتقدم من العجوز وقال لها لا باس عليك ياولية الله عجلي واحضرى السبع وزات لاني امرتهن بقتلك بسبب عصيان الملك أمري بفك قيودك وخروجك من السجن فقالت العجوز اشكرك كثيرا لحل عنك وانى اريحك فقال عجلي هيا هيا العجل العجل فقامت على اقدامها وحاث شعورها وشخرت ونخرت وهمهمت ودمدمت وتكلمت بكلام لا يفهم واذا بانوار سطعت وشخالة رنت وصارت تتزايد شيئاً فشيئا حتى وجدوا السبع وزات ارتمين عليهم داخل السجن و يصحن النار النار يا كهينة الزمان كل هذا والوزير شاهر الحربة ومنتظر هذا الوقت وما لحقن السبع ان يهبطن الى الارض الاوالوزير هجم على العجوز وهى غافلة عنه فضربها بالحربة في ظهرها فخرج يلمع سنها من صدرها فوقعت الى الارض قتيلة وما كادت تقع على الارض الا وشرر النار ودخان وحرارة وقعت عليها فاحرقتها وصارت كوم رماد وقد صاحت العفاريت بقولها (لاشات يداك ولا شمت بك أعداءك ياوزير الزمان أراحك الله كما أرحتنا من عجوز النحس) والسبع وزات انتفضن في الحال الى سبعة بنات ولما وجدن انفسهن تخلصن من السحر والعجوز هلكت اطمانت انفسهن تقدمن من الوزير لبستعمرنه وكان بجانبه الهام وماكدن يحققن نظرهن بالهام الا وقد تراءين على اقدامه وعرفوا انه السبب في خلاصهن من العجوز وبينما هما واذا بالملك عمر شاه داخل عليهم لانه عند سماعه الصياح وتاكد ان العجوز تخلص ولا بد من كونها ترمى المدينة ومن فيها بشيء لا يطاق فطاش عقله ورمى بنفسه من

سرير مملكته وسل سيفه وصاح بصوته الخيل ياركاب الخيل وسار بسرعة وهو يلهب الارض باقدامه حتي وصل السجن فوجده محتاط بالقواد والعساكر وكانت الوزراء متبعاه وعند ماوصلوا داخل السجن وشاهدوا هذا المنظر العجيب تاخروا الي الوراء وتركوا الملك عمرشاه واقفا مدهوشا والسيف وقع من يده على الارض وهو ينظر الى والدته واخوته وهن يصبلن الهام والوزير والعجوز ملمية على الارض وهى تلتهب بالنيران واذا بوالدته هجمت عليه واخذته بين ذراعيها فنبه ورمى بنفسه عليها وهو بقلب خافق وايادٍ مرتجفة وصاح بالله أأنى على قيد الحياة فوقعا على الارض مغشيا عليهما فتقدمن البنات اخوته منهما وحملاهما من على الارض وأجلساها وتقدم الوزير منهما وقد اعتني بفحصهما حتى فاقا وأعادوا السلام مرة اخري وبينماهم كذلك واذا باحد الوزراء وهو رجل يبلغ من العمر الثمانين داخل فتقدم من الملك عمرشاه وقبل يده وهناه بسلامة عائلته وقال يامولاي اني جئت اليكم بالنيابة عن الوزراء والنظار والقواد وجميع العساكر لاقدم لجلالتكم التهنئة وابلغكم مزيد فرح الشعب واننا منتظرين الاوامر فشكره الملك عمرشاه وأمره بفتح ابواب السجن وخروج المسجونين منه واطلاق المناداه بخلع ثوب الحزن وان يامر القواد بالانتظار فاجاب بالسمع والطاعة وتمن وخرج ينتظر الاوامر . وكان الملك عمرشاه عند دخوله الى السجن وهو طائش العقل كانت الوزراء متبعاه فلما وجدوا هذا المنظر العجيب تأخروا عنه وقالوا لبعضهم لاشك ان أبواب السماء فتحت وهبطن منها هذه الحوريات فخرجوا وقفلوا الابواب وانتظروا لآخر النهار فلم ياتيهم امر فاتفقوا على ارسال كبيرهم فكان منه ماكان وأخبرهم بما جري ففرحوا وخرجوا مهللين مكبرين وأطلقوا المناداة بخلع ثوب الحزن وزينت المدينة واقامت الافراح

وعمل الولائم ترحيبا بقدوم والدته واخوته وخلاصهن من السحر وأعلن نزوله عن الملك لالهام بن الملك بدر الدين وفي الحال حضرت الفراشين والطباخين والمغنين وأصحاب الحرف وداموا في السجن على هذه الحالة ثلاثة أيام على أتم مايرام من المسرة والهناء وفي اليوم الثالث دخل الوزراء والاعيان والرؤساء على الملك الهام فسلموا عليه وهنوه بالملك وقبلوا يديه وشكروه واستاذنوه في المسير الى القصر الملوكى لاتساعه واتمام الافراح به فاستصوب رأيهم وأجاب طلبهم وما جاء عصر اليوم حتى خرج الجميع من غرف السجن في موكب عظيم وانتشرت رجال الحكومة بافخر الملابس وصار جميع الفضاء من باب المدينة الى القصر في غاية الازدحام وقد رفعت الملكة وبناتها وبدر الدين على تخت مكلل بانواع الجواهر التى تخطف الابصار بتلألؤها وما تحرك الموكب الا ان سمع دوي أصوات تلك الجموع يرعد في الفضاء وقد علا صياحهم وكثرت أدعيتهم وكلهم ينادون فليعش الهام فليعش ملكنا وسيدنا فليعش الى الابد وتزاحموا يترامون فوق بعضهم البعض ويتباركون بالنظر الى صبوح محياه وساروا بين اطلاق المدافع وتهليل الناس واحتشاد الجموع ولم يكن الا ساعات قليلة حتى دخلوا القصر وبين أيديهم الشموع الكافورية تضيء وتنبعث عنها الروائح العطرية يحملنها الجواري كانهن من حور الجنان والارض قد فرشت بالرمل الاصفر حتي وصلوا الى القصر الملوكي بعد غروب الشمس واذا به أعجوبة من عجائب الزمان حيطانه منقوشة بابهج الالوان والارض قد فرشت بالانسجة الثمينة والزهور الناضرة فدخل الهام وهو بين الوزير وعمرشاه والوزراء والرؤساء مانفين حولهم الى أن أدخلوهم من باب الحريم وتركوهم ورجعوا الى انصراف الناس وكانت سلالم ذلك القصر من الرخام والمرمر مرصعة بفصوص الياقوت والمرجان

والزمرد والجواهر فصعد الهام ومن معه وهم ينظرون الى القصر ويتعجبون لان القصر كان جنة الدنيا لانه كان من الرخام المرمر على جميع الاشكال وحيطانه مزينة بطلاء يدهش كل انسان وفيه صور الطيور والوحوش والغزلان من كل شيء زوجان وساروا الى داخل دهليز وكانت الملكة و بناتها بانتظارهم فدخلوا حتى انتهوا الى صالة كبيرة بوسطها فسقية تندفق منها المياه وحولها أربعة لواوين مفروشة بانواع الحرير الملون ومن أنواع الديباج المنقوش بالذهب وفى كل ليوان سرير عالى من الذهب الاحمر مرصع بالدرر والجوهر وبصدره وسادة عاليه على كرسى من العاج وبجانب الفسقية مائدة منصوبة على كرسى من الابنوس قوائمه مصفحة بالذهب الاحمر ورجلاه من الفضة النقية وفيه أوانى مملوأة بالاطعمة الشهية المختلفة الألوان من لحوم الطيور والضأن وأنواع الخضروات والسلطات والمسطرده والمخللات وأنواع الفطير والحلويات والفواكه والياميش والمربات وقريبا منه كرسي عليه القلل البلور منقوشة بالماس والذهب ملآنة ماء بارداً صافيه وكل قلة مغطاه بجوهرة قدر البيضة النعام وعليه الكيزان المنقوشة بفصوص الزمرد الاخضر فجلسوا جميعا للاكل (١) والجوارى واقفات فى الانتظار وبعد أن أكلوا وشربوا ما طاب لهم قاموا ودخلوا غرفة الاستراحه وجلس كل منهم على سريره المعدله ومازالوا يتجاذبون أطراف الحديث والمسامره وماحرى لهم والعجوز حتى

---

(١) والجواري واقفين صفين بيد بعضهن انفاقم المملوءة بماء الورد وبعضهن يحملن المباخر الذهبيه

غرقوا في بحر من السرور والفرح الى طلوع النهار ولما أراد الهمام أن يقوم ويستأذن في النزول الى بستان القصر فاقسمت عليه الملكة أن لا يبارحها الآن ولا ينام الا في أحسن غرفه في القصر اذا أراد وصار ذلك ومازال معهم في أعلا القصر مدة عشرين يوماً لا يفارقهم ليلاً ولا نهاراً وهم في حظ وانشراح وليكون في علم السامع ان كل هذه المدة لم يستطع الهمام أن يحدق بنظره الى السيدات والخجل متسلط عليه بل عند رفع بصره ينظر أثار فيغض بصره ولم يمكن أن يتأمل لواحدة منهن . وفي صباح اليوم العشرين لبس عمر شاه أفخر ثيابه والبس الهمام البدلة الملوكية والبس وزيره بدلة الوزارة وخرجوا من القصر بالابهته والاجلال وكان لخروجهم ساعة يالها من ساعة وذلك من شدة أصوات العالم وقد علا صياحهم بالدعاء وهم ينادون فليعش الهمام مايكدا وسلطاننا على الدوام وساروا بين اطلاق المدافع وصياح الناس حتى دخلوا سراية الديوان وجلس كل منهم على الكرسي اللائق به وبعد ان استقر بهم الجلوس قام عمر شاه ووقف خطيبا وقال أبأي لسان أشكركما وبأي جنان أمدحكما على شهامتكما وترك بلادكما ومقاساتكما الشدائد والاحوال ولو وهبتكما روحي لكانت قليلة في مقابلة تعبكما ورجوع والدتي واخوتي الى احياء وأعدتما الى الحياة وراحة الضمير فانا لا أنسى جميلكما مهما كان مني اليكما وان كنت تنازلت عن ملكي وملك أبي الذي لم أعرف له طريق اليكما فهو شيء يبرحه الى مقامك ولكن أزيد كما بأني قد أوهبت اليكما اخوتي لتختارا منها زوجتان والاربعة يكونون جوار اليكما وهذا ما في وسعي وأرجوكم المعذرة في تقصيري عن الواجب

البكا واقبلوا عذري ولكم الشكر : فقام المدام ومدح عمرشاه بافصح لسان وأراد أن يتنازل له عن الملك فقاطع عليه عمرشاه وتقدم منه وسجد بين يديه وقال (فلا يأبى الكرامة الا كل لئيم) وحاشا كا يا مولاي ما أنت الا ملك كريم وقد بعثك الله الينا فلا ترد كلامي ثم تقدم منه وقبل يديه ونايمه على الملك ودعاله وتأخر ثم تقدم بعده الوزراء والرؤساء وبعدهم الوكلاء والضباط والقواد والجنود ثم الاهالي كباراً وصغاراً وكلهم يدعون له بدوام العز وطول البقاء فكان يهش في وجوههم ويثني عليهم ومن بعد ذلك نهض قائما من فوق الكرسي واتبعه عمرشاه والوزراء وساروا الى القصر وقد دارت البشائر في المدينة وقاموا بكل المسرات والزينة عشرين ليلة وكان أول حكمه أنه أمر باعمال يوم عظيم للصلاة فارتفعت فيه الاصوات الى الله بالشكر والحمد والتسبيح ثم أمر باعمال السجن بستان عظيم للنزهة ورواحة للاهليين وابقاء المقاصير على ما كانت عليه — وذلك لرسم الملكة وبناتها وماقد حصل لهن من أول القصة لآخرها ليكون ذلك تاريخا وتذكاراً لهن ويلزم رسمه والمحافظة عليه على طول الزمن ومثالا في تزاويق البستان وحيطانه

وفي الحال رسم البستان في محل السجن وغرست الاشجار واجريت الانهار وسمي (روضة لقاء المحبين) وكان وزير المدام له قوة عظيمة وبراعة بفن النقش فتقدم من البنائين وأمرهم أن يدهنوا الحيطان بدهان مركب بمعرفته ثم قام ورسم الملكة وبناتها وقد أتقن عمل تلك الصورة حتى أن الرائي عند وقوع نظره عليها لا يقدر أن يدرك أنها رسم بل حقيقية

فرسم الملكة وبناتها فى الساعة الاولى وذلك أنه تقدم من الحائط الاول وكتب تحت الصور وقت ان دخلت العجوز قصر الملكة وصرخت فى وجوههن بصوتها المرعب قائلة : اليوم يا فاجرات اسحركن الى أدنى الحيوانات واستفى لابنى منكن ولا أدع لكن ذكرا بين الورى • وكتب في الجهة الثانية من الحائط تحت اختفاء البنات في مواضع مختلفة • وفى الحائط الثالث الملكة جاثة على ركبتيها امام العجوز والدموع تنحدر من أماقها وحالتها مؤثرة محسرة وهي فى شدة الارتعاش قائلة وكتب من تحت الرسم

ولا ذنب لي مع ابنتك فاشفقى على وعلى اولادى هؤلاء الصغار

في الحائط الرابع واقفة العجوز تهز باكتافها وتميل برأسها ولم تظهر أدني تأثير بل مكتوب من تحتها هذه الكلمات

وزادت على صلابة قلبها وقساوتها هذه الجملة

اني يا عاهرة لا انخدع لكلمات ولا اتأثر من دموعاتك الكاذبة فقومى واظهرى بناتك المختبئة واسمعي لان أحول صوركن من هذه الخلقة البشرية الي صورة حمير او ازغال وتأكدي باني لابد وان اعمل هذا العمل

انتقل الرسام الى الساعة الثانية التي بجوارها ورسم على الحائط بيمين الداخل الملكة واقفة تنظر الى السماء وهى رافعة يديها وأولادها بجانبها ومكتوب فوقها هذه الكلمات والعجوز امامها

اللهم اعطني القوة والهمني الصبر على هذا المصاب وانت أيتها الارض المنيرة الوجه قد استودعت سطحك ولدي وفلذة كبدى وأنت أيتها الذات السرية الانقلاب اشهدتك على مدة زوجى

ويا الهي العادل كن على ما تقدمه هذه العجوز رقيبا وشهيداً .

تقرئي تقدمي يا عجوز السوء وعملي في ما تريدين وها بناتي ضحايا بين يديك فاسحري فسيجاريك اله منتقم عادل وعلى الله لك من يأخذ بحقنا والله نعم النصير

ثم على الحائط الثاني العجوز واقفة وبيدها طاسة من نحاس ملآنة ماء وهي مادت صدرها وملتفتة الى اليسار كانها تشير الى العفاريت والملكة وبناتها واقفين أمامها

ومكتوب باول الحائط الثالث

تقدمت العجوز وقلبها يكاد يتميز من الغيظ وبيدها الطاسة وهمهمت ودمدمت ورشت في وجوه الملكة وبناتها فتحولن الي سبعة حمرات

ثم مرسوم على الحائط العجوز وبيدها الطاسة وباليد الثانية الماء يتساقط على الملكة وبناتها

وفي الحائط الرابع سبع حمرات طائرين في الجو والعجوز نازل من سلالم بداخل قصر

ثم انتقل الى قاعة ثالثة ورسم بها نهر وسبع حمرات عائمات وفي الحائط الثاني نهر وهن جالسات سبع بنات على شاطيء النهر والهمام واقف أمامهن واحداهن ملتفتة اليه والوزير واقف مستتر وفي الحائط الثالث الهمام ووزير أبيه سائرين بواد قفر وأمامهما مدينة ويمين مدينة قبل يقرب منها وفي الحائط الرابع الهمام ووزير أبيه صاعد فوق الجبل وبقمة الجبل دكة منصوبة ثم انتقل الوزير الى القاعة الرابعة ورسم بالحائط الاول ان شخصين مستترين تحت الدكة

ومن فوقها الملك وهو جالس وناظر الى السماء ويتضرع الى مولاه

وفى الحائط الثانى الملك مغشي عليــه وهو بين يدي الشخصين قريبين من الدكة وشخص قريب منهم واضع سفارة فى فمه ومن ورائه جنود لا تحصى ولا تعد وانتقل الوزير الحائط الثالث ورسم عليــه الملك جالس على سريره بملابسه الرسميه ويشير الى شخص مرتبك وأمامه شخصين مقيدين بسلسلة من حديد

ورسم على الحائط الرابع الملك جالس على السرير وشخصين جالسين علي كرسيين بجانبه وهو صانط اليهما

ثم انتقل الوزير الي القاعة الخامسة ورسم بالحائط الاول السجن والحراس واقفــين محتاطين به وعلي باب السجن شخص جالس على كرسى عليه سيمة الوقار وواقف أمامه شخصين بيد أحدهما مكتوب يقدمه له

وبالحائط الثانى رسم قاعــة متسعة والعجوز ملقية فيها مكتفة اليدين والرجلين وأمامها الشخص الذى كان يقدم الخطاب الى الرجل العظيم الذى كان جالس على باب السجن وهو واقف أمامها ... ف

وبالحائط الثالث مرسوم القاعة بنفسها والعجوز واقفة مربوطة وهى تنظر الى السماء وتشير سبعة وزات طائرين فى الجو وشخص واقف من ورائها وبيــده حربة من نار ومصوبها الى ظهر العجوز

وبالحائط الرابع القاعة والعجوز ملقية وهى ملتهبة بالنار والسبع بنات محتاطين بالشخصين المرســومين باول دخولها السجن والملك واقف أمامها ينظر والوزراء خارج القاعة والامراء والجنود محتاطين بالسجن

وبعد أن تم البستان على أحسن ترتيب صار الملك يذهب اليه في الاسبوع مرة يستدعي عمرشاه والوزراء ويبقي معهم في البستان الى المساء يصرفون الوقت ما بين المخابرة باحتياج الرعية والاسباب اللازمة وحالة المتوظفين والحكام وبين الصفا والانس وعند المساء يعود الى قصره مع وزيره وفي الصباح يخرج الي الديوان وينظر في مصالح الشعب وينصف المظلوم من الظالم وهكذا كان كلما تقدمت الايام زاد اهتماما في تدبير المملكة والعدل بين الرعية لا يعمل الا على مقتضى الشريعة • وقد أخذ بتعمير المدن الكائنة تحت تصرفه وذلك بمساعدة وزيره وباتحاده مع عمر شاه

الى أن كان ذات ليلة رأي نفسه ضيق الصدر فخرج من غرفته وترك وزيره في الفراش وجعل ينتقل من غرفة الي غرفة يتفرج في القصر وبنيينه قاصدا يتلهي ويفرج عنه ما يشعر به من الانقباض وفيما هو على مثل ذلك رأى باب الحد مفتوحا فخرج منه وسار يتمشى فسمع من بعد أصوات موسيقى فتقدم شيئا فشيئاً وهو بين الاشجار حتي وصل الى فسقية ينفر الماء من وسطها بجانبها شجرة من القرنفل وأمامها سبع كراسي مطلية بالذهب الوهج مرصعة بالجواهر والياقوت وعليها سبع بنات الملكة وبناتها كانهن الاقمار جالسات كالملوك على عروشهن وبيدهن آلات الطرب كالعود والقانون والناي ونحوها وهن يضربن عليها بفن غريب ثم رفعن أصواتهن بالغناء المطرب الذي لم يسمع مثله حتى غاب عقله وقد أخذته الدهشة والرجفة في الحال لانه لم يكن ينظر مثل هذا المنظر البديع فوقف مبهوتا وعيناه جامدتان في البنات وبقي غائصاً في بحار الحيرة

ثم بعد ذلك عاد اليه وعيه فتقدم الى الامام ودنا من الشجرة واختبأ بفرع منها واحدق بالبنات فاذاهي الملكة وبناتها فوعى لنفسه قليلا لكن بقي غائصا متأملا ليقدر ان يميز جمال الواحدة عن الثانية فلم يقدر ان يحكم لواحدة وأخذ ذاك الحب ان يتجسم بفعل العناية حتى كاد ان يقع الي الارض وهو لا يعرف ماذا يفعل وقد زاد تأسفه وهيجانه وكان قلبه يخفق عند وقوع نظره على كل واحدة منهن والافكار تتلاعب به وقد زادت محبته اليهن حتى عاد ولا يقدر ان يفارق ذاك المكان بسهولة . ثم قال بنفسه يجب ان ارى أي واحدة منهن اجمل وابدع . فنظر في الملكة وأحدق بها وقال لاريب ان الملكة ابدع بناتها حسنا وبهاء وبقي محدقا بها حاكما بوحدانية جمالها وكمالها الى ان انتقل الى الثانية وهي كبيرة البنات وتسمى (ورد شاه) فجعل يتأمل فيها وقال لا بل هذه ابدع جمالا وابهي منظرا ثم التفت الا الثالثة وهى أصغر منها وتسمي (حسن شاه) وصار يتأمل فيها وقال لا بل هذه احسن جسما وقدا . ثم التفت الي الرابعة وتسمى (نور شاه) وجعل يتأمل فيها فقال لا بل هذه ابهى من الجميع فكل مافيها كامل ومحبوب . ثم نظر الى الخامسة وتسمى (بدر شه) وصار يتأمل فيها وقال لا بل هذه ارق وأظرف الجميع ثم التفت الى السادسة وتسمى (قمر شاه) وجعل يتأمل فيها وقال لا بل هذه أجمل الجميع . ثم التفت الى السابعة وتسمي (بستان شاه) وجعل يتأمل فيها وقال لا بل هذه الصغيرة
ابدع جمالا وارق جسما

وبقي كل ما وقع نظره على واحدة منهن يحكم بانها ابهى الجميع .

حتى حكم بأن كل واحدة منهن أحسن من الجميع ودام على ذلك مدة ساعتين وقد انسحب قلبه وهطلت دموعه تكراراً وهو يفكر كيف يعمل وفيما هو على مثل ذلك واذا بيد وضعت على كتفه فالتفت وراءه واذا بالوزير فأشار اليه بأن يتبعه فسار وراجعا فاتبعه حتى دخلا الى محل جلوسهما وبعد ان جلسا قال الهام للوزير ماالذي جاء بك في هذا الوقت قال الوزير يا مولاي بعد نصف الليل فسمعت صوت الموسيقي فقمت لاتريض وأشنف سمعي فجال بفكرى أن نكون معا فجئت لاخبر جلالتكم فوجدت السرير خالى فعلمت بأن مولاى تركنى وتوجه الى مكان الموسيقى فجئت اليها ونظرت من بعد فلم أجد غير الملكة وبناتها فسرت افتش حتي وجدت مولاى تحت شجرة القرنقل مع انه يعلم انه لو توجه الى الملكة مباشرة لقابلته مع بناتها بالترحاب

فقال الهام نعم ولكنى ما كنت أقصدهن وعند نظري اليهن حسبتهن ملائكة جالسات علي عروش البهاء لان جلوسى معهن كل تلك المده لم يمكنى أن أحقق النظر اليهم لشدة خجلي منهن وأما الآن فقد حققت نظرى بهن فوجدتهن على جانب عظيم من الحسن والجمال والقد والاعتدال والظرف والدلال والادب الكمال وحسن الصوت والمقال ما أدهشني وجعلنى فى حيرة فانتقل الي حديث آخر ومنه الي آخر حتى طاب لهما المنام فقام كل الى سريره ولما لاح الصباح نهض الهام من فراشه وتوضأ وصلى مع الوزير ولما بزغت الشمس وانبسطت على وجه الارض سارا الي دار الاحكام راكبا بالابهة والعظمة وهو بين الوزير وعمر شاه ولما

وصلوا وجدوا الحجب صفوفا يتقدمون ويتأخرون فتقدم الهام الي سريره المخصوص لجلوسه فجلس عليه وجلس الوزير على يمينه وكل واحد من الحكام في مركزه ولبثوا الي آخر اليوم ثم قام وركب معه وزيره وابن الملكة وساروا الي القصر كعادتهم فقابلتهم الملكة وتقدمت من الهام وأخذته من يده وسارت به الى قاعة الاسترا ويتبعهما الوزير وابنها وجلسوا كل منهم على سريرة يتسامرون ولما جاء وقت الأكل فقاموا وأكلوا وشربوا ما طاب لهم من الشراب وصاروا يتجاذبون أطراف الحديث حتي غرقوا في بحر من السرور والافراح حتى طاب لهم المقام فقام كل منهم الى سريره قام الهام شاه من نومه وتحدث مع الوزير بهذا الخصوص البنات فقام ثم وجد الوزير على أهبة الاستعداد للنوم فلما أحس الوزير به قابله بالتعظيم

فشكي الهام لوزيره ما حل به من العشق بما فى ضميره فقال الوزير أيها الملك السعيد صاحب الرأى السديد الحب آلة القلوب ونور الخواطر فلا يتسلط على أحد الا ويذله ولا يدخل خاطر الا ويشغله وهذه المسألة من المسائل المهمة التى تحتاج الى الروية و نى مفكر بها دائما فلم أجد لها حل غير أمرا واحدا وهو اذا كان مولاي يطلب من ابن الملك عمرشاه قطعة أرض خارجة عن المدينة ونحن نأتى بالبنائين والمهندسين ونرسم لهم عمارة بداخلها سبعة قصور لكل سيدة منهن قصرا خاصا بها على طرز جديد تنالوا مرغوبكم باقرب وقت فقال الهام وما فائدة القصور قال الوزير متى انتهت العمارة بمعرفتنا واستوفت كل اللوازم وانتقلت الملكة والسيدات يتنازل

مولاى ويسير على حسب ما أشور عليه فقال الهام نعم انى مطيع لاوامرك وانى لا اخالفك فى شىء قط قال له الوزير اذ أراد مولاى أن يبلغ مراده فيطلب العمارة وبعد أن تتم على حسب مرغوبنا فتحول الملكة والسيدات من هذا القصر اليها وتصير كل واحدة منهن لها قصراً مخصوصاً بها فيزور مولاي الملكة والسيدات ويحاورهن فى العلوم والمعارف والآداب والواجبات الدينيه والعائليه والاجتماعيه ومن يراها ملمة أكثر فهى تكون متكة بالمعنى الصحيح بزوجها لان سعادة الانسان لا تكون الا بمعاونة الزوجة وقد قيل فيما سبق أن السعادة فى المرأة المطيعة والدابة السريعة والدار الوسيعة وقد من الله على دولتكم بالاثنين الآخرين والاولى هى الباقية وهى ب الحقيقة الاصل وما بعدها فهو فرع ثم يكون فى علم مولاى أن السيدات لا يخرجن من هذا القصر الى آخر الا اذا كان في موكب عظيم ومتى أمر بالموكب بالطبع يعرض على سموكم زواج أحد أخواته ليكون قد قام بالواجب وما اوعد به فاستحسن الهام هذا الرأي واحس براحة في ضميره فقام وتقدم من الوزير وقبل يده وشكره على ما ابداه وقال له مثلك يكون وزير الملك الاعظم والله انى بلغت قصدي ورجعت مسرورا الي الملك لاعمته بذلك حتى يزيدك في الاكرام ويعظم شأنك ويسمع كلامك فقبله الوزير بين عينيه ثم قبل يده وشكره وذهب كل الي سريره

ولما أصبح الصبح نهض الهام وتوضأ وصلي ما عليه من الفرض وكذلك وزيره وانتظروا ابن الملكة وركبوا وساروا ولبثوا الي آخر اليوم وكان يوم رواحهم الى البستان فساروا اليه وجلسوا يتحادثون

فعرض الهام أمر قطعة الارض على عمرشاه ابن الملكة ويجعلوها سبعة قصور كل قصر بلون لايشبه الآخر محاطين بسور يجمعهم وكل قصر يكون خالصا لواحدة من السيدات وللقصور نوافذ توصلهم ببعضهم فاستصوب عمرشاه هذا الفكر وأجاب طلبه ومازالوا جالسين حتى المساء ثم قاموا وركبوا الى القصر فقابلتهم الملكة وعرضوا عليها فكرة الهام فقالت يلزم أن تفتشوا على مكان لطيف الهواء حسن المناخ عذب الماء وتبنوا فيه تلك القصور فانه رأي حسن وقضوا سهرتهم كالعادة وانصرفوا ولما أصبح الصباح قال عمرشاه لالهام انى من هذه الساعة أسعى فى المكان المطلوب عساي أجد المحل المناسب الذى تأمروني به وخرج وأخذ الوزير فركبا الى ديوان الاشغال وأخذ معهما اثناعشر من كبار المهندسين وأخذوا يطوفون فى تلك الاطراف من جهة الى ثانية حتى اهتدوا الى مكان مناسب جدا موافق لغرض الوزير لايمكن أن يكون أعظم منه فى كل البلاد فعاد الي الهام وأعلمه بالموقع الذى رآه فذهب الهام مع الوزير والبعض من الامراء الى ذلك المكان وتحققوا أن لا نظير له في تلك البلاد فسر الملك الهام جداً لان ذلك الموقع كان مرتفعا يكشف الجهات الاربع وقصد أن يبنى فيه سورا عظيما ومن داخله سبعة قصور كما أخبره الوزير

فدعى المهندسين وأظهر لهم رغبته فأعجبهم رأيه وتعهد والملك الهام باتمام مقاصده وان يبنوا له سبعة قصور لم يبن مثلهم فى سالف الاعصار فوعدهم بكل جميل ووضع تحت أمرهم خزينته كلها يأخذون منها كل مايريدون وما يحتاجون اليه من دنانير لبناء

القصور وفرشهم وفى الحال باشروا المهندسين كاستحضار المواد اللازمة وأخذوا بالعمل وفى أقرب وقت بني الصور وبداخله سبعة قصور أمام بعضهم ولهم نوافذ توصلهم ببعضهم وبين القصور ميدان فسيح وعلى دائرته أشجار وأزهار وكل قصر مزيناً بالنقوش الفاخرة متين البناء واسع الهيا كل مزخرف الحيطان مرتبا على نسق غير الآخر لم ير مثله ملك وقد اتقن فرشه واستحضر من بلاد اليونان والرومان والعجم كل ماهو نفيس وفاخر من الاقمشة والمصنوعات البيتية ووضع عليهم من الخارج الجواهر الكبيرة المضيئة فكانت كالشمس لايقدر الراءي أن يحدق نظره بها ومع أن الحيطان لم تكن من الزجاج لكن الراءي كان يرى نفسه فيها أجلى من المرآة الصافية وكانت تتغير في اليوم الى ثلاثة ألوان أبيض وأصفر ومائى فعند الصباح أى عند شروق الشمس وارسال أشعتها على القصور كانت تظهر بلون مائى وفى نصف النهار تصير من شدة وهج الشمس صفراء كالذهب وعند المساء بيضاء كالفضة

والحاصل أن المهندسين بعد أن أتموا بناء القصور وفرشهم وكان الفرش على حسب مشتهى الملكه وبناتها وكذلك لون البناء لان كل واحدة كانت ترغب فى لون وزخرفه كما تقدم قدموهم للملك الهمام فلما رآهم اندهش من صناعتهم ومن كل ماراه فيهم ولذلك أظهر امتنانه منهم وافرغ عليهم خزائن الاموال والجواهر

وبعد ان تم بناء القصور عين لكل قصر جماعة من الخدم والحشم والحراس والطباخين والمغنيات والموسيقي فصار كل قصر كانه جنة فيحاء كاملا بكل أسباب الحظ والهناء . وقد دعى القصور

السبعة على أسماء ألوانهم فدعي الأول (بالقصر الاسود) وكانت منافذه وصالات شواديده وبوابته بالورد والقرنفل حتى ان نفحة العطرية كانت تشم على بعد أميال وهذا القصر صار لعائشة يعني صاحبة القصر الاسود . والثاني (قصر الصندل) وكان لورد شاه . والثالث (القصر الاحمر) وكان الرابع (القصر الاصفر) وكان الخامس (القصر الابيض) وكان السادس (القصر الازرق) وكان وهكذا كانت السبعة قصور بهجة للناظرين وقمة لعيون المتفرجين لم ير مثلها قط على وجه البسيطة وقد لبس كل واحدة من البنات ملابس على لون القصر الموجودة فيه أي على اللون الذي أحبته وبعد ان تم بناء السبعة قصور شاع صيت تلك القصور وانتشرت أخبارهم في الآفاق فأخذت الناس في ان ترد أفواجاً أفواجاً للتفرج عليهم وكان كل من رآهم يعجب من صنعتهم وقد زرعت حواليهم الرياحين والزهور وحفت بهم الحدائق والرياض حتى كانت الروائح العطرية تشم على بعد ساعة من أربع جهات السبع قصور . وعلى الخصوص عند هبوب نسيم الصباح من الاماكن المجاورة . كانت تنتشي بذلك النعيم متوهمة ان هنالك الجنة التي يسمعون عنها ولما تم نظامها وترتبت على ما ذكرنا وصارت بهجة للناظرين وعيون المتفرجين كان الهمام اختبر السيدات فوجدهن تقدمن في العلوم والآداب تقدم عمر شاه من ولده وصار يمدحهم حتى جعله انه ملاك وقد ارسله الله اليوم من السماء الى ان قال وتمنى ان يتم الزواج باحدى اخوات الوزير ايضاً ولكني أخشى مفاتحتها بهذا الشأن ويمنعني الخجل . فقالت له علي بالوزير . وفي

المساء حضر الوزير فقابلته بالاكرام وعرضت عليه زواج احدى بناتها بالملك واخبرها بميله كذلك وقد فرح الوزير بهذا الامر وعاد الى الملك واخبره بما سمع فسر الملك سروراً عظيما وفي الصباح طلب عمر شاه من الملك أن يأمر بزينة المدينة واقامة الافراح اربعين ليلة واعمال الموكب لنقل العروس وأن تزين المدينة وتنور وتقام الافراح وكان فرح الناس عظيما ما عندهم الا وقد خرج وسار الى طريق السبع قصور ليرى وينفرج فهبت الارض وماجت وقامت الافراح وأولمت الولائم ونصبت الصواوين بساحة السبع قصور وخرجت الملكه وبناتها وسرن الي السبعة قصور بموكب عظيم مابين أصوات الدعاء ونغمات الترحيب وكانت الارض فرشت بالحناء والزعفران وصار المنادون يطوفون فى المدائن والقرى صائحون من كان جوعانا أو عريانا فليقصد السبع قصور

وماجاء اليوم الثانى حتى انتشرت رجال المملكة بافخر الملابس وصار جميع الفضاء من باب المدينة الى السبعة قصور في غاية الازدحام والساحه قد غصت بالفقراء والمساكين وامتدت الاطعمة وصارت كل طائفة تدخل بعد الاكل داخل حجرة من داخل الصيوان تلبس ملابس جديدة وتخرج فتذهب لحالها وتأتى غيرها ولما انتهى اليوم الاخير من الاربعين كانت الملكة وبناتها داخل القصور وعقدوا عقد الزواج بين الهام والسيدة ورد شاه بالقصر الاحمر واجتمعت المحبين والمهنئين والمباركين وصاروا يقدمون تهانيهم ويشربون الشراب والهام يقابلهم ببشاشة وطلاقة وجه حتى انتصف الليل وتفرقت الناس فنهض الهام ووزيره وابن الملكة وساروا الى

بالقصور ولما وصلوا حدود قصر ورد شاه وجدوا الارض مفروشة بالفروشات الحريرية والديباجية البيضاء اللون بما يأخذ الابصار بهاؤها وقد صف على الجانبين الجوار ابيض يلبسن الملابس البيضاء وبيد كل واحدة منهن طبق من الفضة النقية وعليه حجارة الالماس الصافي وزين بالاماس رؤوسهن واعناقهن حتى زاد جمالهن جمالا ولما رأين الهمام ومن معه مقبلين لم يجسرن على النظر اليهن فأطرقن باعينهن الى الارض . ولما دخلوا استقبلهم اكثر من خمسين جاريه ثم سرن بين يديهم بالاغاني والاناشيد فدخلوا بالتكريم والتعظيم

وأما السيده ورد شاه فانها كانت كأنها حوريه فرت من الجنان لا يمكن للقلم ان يصف جمالها وكمالها ويأتي بشرح ما هي عليه من الحسن والجمال والقد والاعتدال والكمال وقد زادها انوارا واشراقا ما افرغته عليها من الملابس البيضاء البديعة المطرزة بجواهر الالماس المتلألئة بشعاعها الوهاج وعلى رأسها تاج مرصع بكل جوهرة كالجوزة الكبيرة . ولما نظرت الهمام ووزيره واخوها تقدمت لملاقتهم بين امها وأختها وكانت تنتقل كالطاووس وتتمايل كغصن الباذ وهي كالبدر الوضاح . فرآها الهمام ولكن كيف رآها رآها ضائع العقل والفكر من شدة تأثير خمرة جمالها ودلالها التي أسكرته بغتة وغيبت رشده فوقف متحيرا مندهشا جامدا كالصنم يراقب مشيها وحركاتها

وعند ما نظرت السيده والدة السيده ورد شاه اندهاش الهمام تقدمت منه وتبسمت ووضعت يدها تحت أبطه وسارت به حتى اجلسته على سريره المخصوص ثم رجعت وجلست وأجلست الوزير عن يمينها وولدها عمر شاه على يسارها والسيده ورد شاه امام سرير الهمام

بين اخوتها وقد أحضر الى ذلك المجلس المباخر الذهبية والشمعدانات المرصعة وبعد برهة ادخلت صفرة الطعام محمولة من خمسة عشرة جارية بالالبسة الفاخرة وعليها من أشكال الطعام ماتشتاق اليه النفوس ثم باشروا تناول الطعام نوعا فنوعا . حتى فرغوا فنهضوا وقدمت لهم اباريق الذهب محمولة على أيدي تلك الاقمار خدام المائدة فغسلوا أيديهم

وبعد ذلك عادوا الى مجلسهم وصاروا يتعاطون الشراب المنعش والمرطبات التي تحيي النفوس . ثم صارت البنات وأمهم يغنون ويضربن على آلاتهم حتى كاد المجلس يرقص طربا واما الهام فانه كان لايعي لنفسه من شدة الوله والغرام

وعند مانظرت السيدة ورد شاه اندهاش الهام فتقدمت اليه تميل كالغصن ان هزه ريح الصبا يحتاط بها جواريها من كل فتاكة فتانة وبين يديها المغنيات والمنشدات ينشدن أناشيد التأهل والاستقبال وأخذته من تحت ابطه وسارت الى أعلا القصر حتى دخلا المخدع المعد لهما وهي مطرقة من الحياء وبعد برهة فاق من اندهاشه وجد نفسه مع محبوبته داخل الخلوة وهي تقدمت منه وتبسمت بتبسم اللطافة ومدت عنقها الى الهام فطوقه بساعديه وقبلها في خديها وعينيها وقد فعلت ذلك لتخلصه من الارتباك الواقع فيه ثم انها أخذت عنقه بين ساعديها وردت له قعله ثم لفا الزندين على الخصرين وقلب كل منهما يخفق من شدة الحب والفرح وكلما نظر الهام الى وجهها تبسمت ومدت اليه عنقها مشيرة اليه بعينيها الا فاقطف تفاح الخدود فيسرع

غير متأخر في اجتناء تلك الاثمار اللذيذة وكأنها تحسده على نعمته فتقتدي بعمله وما زالا حتى ارتميا على السرير الالماسي المنصوب بغرفة النوم وقد نضما كالالف واللام وعند الصباح استيقظا من النوم وبعد ساعة خرجا من السرير ودخلا الحمام للاغتسال فاقاما فيه عدة دقائق صرفاها على اللعب وخرجا فلبسا الثياب وجلسا للراحة

ولما بزغت الشمس وانبسطت وجه البسيطة نهض الهمام ولبس أفخر ثيابه وخرج من القصر بعد أن قبلها وقلبه مملوء من السرور والابتهاج حتى جاء الى الساحة التي بين القصور فقابل المهنئين والمباركين فباركوا له ودعوا لدولته بدوام العز والافراح . كانوا يأتون أفواجا أفواجا فيقدمون تهانيهم ويشربون الشراب ويخرجون فيأتي سواهم وهو يلاقي الجميع ببشاشة وطلاقة وجه الى المساء . وبعد انصراف المباركين

تقدم عمرشاه من الملك الهمام وقال سيدي نرجوكم تشرفونا بهذا القصر (وأشار بيده على القصر الاسود) لنقضي ليلتنا فيه بالمسرة وأعلمكم أن والدتي قد فرضت على نفسها واخوتي ان كل واحده منهن تقص حكاية غريبة على مسامع الملك في الليلة الاولى التي يزورها في قصرها فاذا سمح سيدي وتنازل بأن يجعل أول زيارتنا من أول هذه الليلة فنكون له من الشاكرين

فأجابه الهمام الى ما طلب وسار وهو بينه وبين وزيره الى القصر الاسود وهو قصر والدته وعند دخولهم وجدوا أرض القصر مفروشة بالحرير المنقوش الاسود الجميل بحيث كان القصر أسود اللون وأثاثه من الحرير الاسود وكل ما فيه اسود اللون ولذا كانت

تحت ذلك الوقت وقد لبست الملابس السوداء فاشتد بياضها وكانت كالبدر تحت ستار الاعتكار يجلو الدياجي ببهاء الاشعة والانوار وما دخل ولدها عمر شاه ومعه الهام ووزيره فناء القصر حتى تقدمت أمه يحتاط بها بناتها وبين يديها المغنيات وحينئذ وقفت أمام الهام ورحبت به وقامت لديه بالثناء والدعاء وقبلت أذياله وأخذته من تحت أبطه وسارت ويتبعهما عمر شاه والوزير ومن خلفهم السيدة ورد شاه واخوتها وبين أيديهم الشموع الكافورية تضيء وتنبعث عنها الروائح العطرية يحملها الجواري والولدان كأنهم من حور الجنان الى الحديقة . وكان بوسط الحديقة بركة من الماء مزينة بالنقوش ومحتاطة بالكراسي والاسرة الذهبية فأجلسته على سرير مفروش بالحرير الاسود الجميل والاطلس وجلس كل على كرسي عدله والهام مبهوت من تدبير السيدة وبناتها وحسن اتقانهن فان كل ما راه كان يدهش الابصار ويشغل الافكار وبعد أن استراحوا وصفت الرياحين والنقولات غرقوا في بحر من السرور والافراح وأكلوا وشربوا ما طاب لهم من الشراب التفت الهام الى أمام السرير فرأى حوضاً جميلا ماؤه صافٍ وأي صفاء وقد تلاعب النسيم على وجهه فأثر بصفائه ومن فوقه سلسلة من ذهب معقود بطرفها اناء من البلور الصافي موضوع على كنار الحوض وكان الرائي للماء وان كان غير عطشان لا يمالك نفسه عن الشرب منه . فسر الهام من ذلك الحوض ومن مائه فنهض من مكانه طامحا الى شربة منه ونزل من السرير فقام الجميع لقيامه فأدركت السيدة وردشاه غايته فتقدمت منه واذ ذاك تقدم الوزير من الحوض فأخذ الاناء ومد يديه قاصداً أن يملأه من الماء

وإذا بالاناء قد انكسر قطعا ووقع من يده فخجل الوزير ومد يده ليلمس الماء فرآه جسما جامداً فأمعن النظر فعلم أن لا ماء في الحوض وأن الذي يراه بشكل الماء هو بلور مصنوع على شكل غريب لا يمكن أن يفرقه عن الماء أبرع الصناع وأمهرهم فنظر الوزير الى الهام فوجده شاخصا اليه والسيدة ورد شاه تتبسم من عمله فمد يده في جيبه وأخرج محفظة صغيرة وارتكن على الحوض وصار ينقش داخله ولما فرغ من عمله نظم محفظته وردها الى جيبه ورجع يتمشى رويداً . أما السيدة ورد شاه سارت مع الهام الى الحوض ولما وقع نظرها داخله صاحت بعالي صوتها من جاء بهذا الكلب الى هنا ورجعت الى الوراء مذعورة ثم قالت : ماهو الا سحر عظيم وما تمت كلامها الا وأمها واخوتها صاروا حول الحوض ينظرون اليه ويلمسونه بأيديهم ويضحكون ضحك الاستغراب

وكان السبب أنه لما كسر القدح من الوزير ونظر الى ورد شاه فوجدها تضحك من فعله وخجل فأراد أن يظهر قوة براعته بفن النقش فرسم صورة كلب غاطس بالماء وقد جرح بطنه وخرج منه دود ملأ الحوض فكان الرائى عند ما يأتى الحوض ويريد الماء يظهر له أنه كدر وكله دود وهوام فيرجع عن الماء لا يشرب ولما رأت الملكة وأولادها ان صنعة هذا الوزير في الرسم تفوق صنعة بلادهم كما أن أفكاره عالية جداً خجلوا منه وطلبوا من الهام أن يستسمحه لهم ويستغفر لهم هذا الذنب لانهم لا يقصدوه وبعد ذلك صاروا يحتفلون به غاية الاحتفال ويكرموه اكراما لا حد له

وأما الهام فرجع الى مكانه ثم انهم بدؤا بالانبساط والانشراح

واللعب والمراح وقام بين أيديهم الجواري يتلقون الاوامر ويتسابقون الى ما يطلبوه . وبعد أن استقر بهم الجلوس قامت السيدة ورد شاه فوقفت بين أيديهم ودعت للملك الهام بالبقاء وطول العمر وسألته اذا كان يتنازل ويسمح لوالدتها بأن تحكي له قصة . وعين عليها بالاصغاء الى كلامها فسر لذلك وأبان لها رغبته فيه . فأعادت الثناء والدعاء وجلست في مكانها فقام الهام وقال

أتسمحي لي بأن أتجاسر على مقامك السامي وتخبريني عن سبب حبك في اللون الاسود لاني كثيراً ما كنت أود ذلك السؤال ولكن كان يمنعني الخجل والآن صرت مطمئن فتجاسرت على هذا السؤال فتبسمت السيدة حياة الارواح وقامت فوقفت بين أيديهم ودعت الملك الهام بالبقاء وطول العمر ثم قالت ألهذا أحببت أن أتشرف بمثولي بين يديكم بالقصر الذي أنعمتم به الي وتفضلتم وأخبركم بالقصة التي هي سبب حبي فى شكل اللون الاسود وهي أبدع قصة . وكثيراً ما وجدت في ملامح حلالتكم الاستغراب ففطنت بأن لا بد من يوم لهذا السؤال فنحمد الله الذي ألهمك هذا السؤال في وقته . فسر الملك الهام لذلك الكلام وقام وأخذها من يدها وأجلسها في مكانها وقال هات ما قصدت وتمي أنس من في المجلس بعذوبة لفظك المطرب وحديثك العذب ورجع الى مكانه . فأجابت السيدة بالسمع والطاعة وابتدأت تقول

كانت مربيتي امرأة ضعيفة زاهدة عابدة وهي تلبس على الدوام من رأسها الى قدمها ثيابا سوداء ولم يكن عليها لون آخر ومع أن والدتي كانت تنصح لها وقت وتزجرها وقت فلم يكن لها أن تصغي أو تنقاد ولذلك تاقت نفسي الى الوقوف على الحقيقة ولا بد لذلك

من سبب وكانت تحبني جداً فالتمست اليها مرات عديدة أن تخبرني عن السبب فامتنعت في الاول ولكن لما كان ميلها الي أخبرتني بسبب لبسها السواد وانا أحببته لاجلها فقالت

اني كنت من جواري أحد الملوك وكنت أحبه حبا مفرطا وكان كثير الانصاف والعدل يحب الغريب ويكرم فاذا سمع بمجيء غريب الى المدينة استدعاه الى قصره وهش في وجهه واظهر له من الاكرام مالا مزيد عليه فيقضي حاجته مهما كانت ويستطلع من الحوادث التي رآها فكان يصرف أوقاته على مثل ذلك . ففي ذات يوم غاب عنا ولم يقدر أحد أن يعرف اين ذهب وقد فتشوا عليه كثيراً وطافوا الجهات والمدن فلم يقفوا له على أثر وحينئذ تولى أكبر الوزراء ادارة الاحكام . ولم يمر على ذلك تقريبا من سنة حتى رجع الى مملكته ولكنه كان يلبس السواد من رأسه الى قدمه ولم يقدر أحد أن يسأله عن سبب ذلك وكان دائما يحب اللون الاسود ويظهر وجهه دائما علائم الحزن والملل وأثار الغم والتفكر مع انه كان قبل غيابه منعكفا على الانس والصفا محبا للسرور والنشاط بشوشا ضحوكا فاصبح من بعد رجوعه مغمما مكدرا عبوسا حتى انه كان لا يتبسم الا نادراً واحيانا كان يتأوه ويتحسر ويذرف من عينيه الدموع كالمطر وقد مر عليه مدة على هذا الوجه أما انا فكان يحبني للغاية وكنت أسليه في كل وقت ويسر من كلامي سروراً لامزيد عليه ففي ذات يوم اغتنمت الفرصة في وقت الخلوة فرميت بنفسي على قدميه اقبلها وتجاسرت بان أسأل منه وأتضرع اليه وأرجوه أن يتعطف علي باخباري عن محل غيابه وما هو السبب

الذي حمله على لبس السواد . ولما رآى اذلالى وتضرعي تحرك الحنو في قلب الملك فلم يقدر أن يخفي مااستكن في قلبه من الحب لي بل قال لي وان كانت حياتكي مما لاتحكى ولكن سأخبرك بها لتعلمي ما هو السبب برغبتي في اللون الاسود ولماذا أنا فى حزن وكدر وأخذ في أن يسرد القصة فقال

﴿ حكاية الملك الحزين ﴾

حكى انه كان فى قديم الزمان ملك وكان محباً للغرباء والضيوف ويميل في الوقوف على غرائب الدنيا وعجائبها وكلما اضيف غريبا أو مسافراً سأله عما يعلم من الحوادث فيقص عليه ماراه ومر عليه ففي ذات يوم كان جالساً في أحد شبابيك القصر اذ نظر درويش يلبس ثياباً سوداء ومغطي بستار اسود من رأسه الى قدمه فتعجب الملك وأمر باحضاره واكرمه وأنعم عليه ثم سأله عن سبب لبسه السواد فلما سمع الدرويش سؤال الملك علاه الحزن والاسف وقال لا يمكن أن أخبرك بالسبب ولا أبوح بالسر لكن لاجل انعامك على واكرامك لي أظهر لك أشارة طفيفة فى هذه المعنى فقال له هات ما تقدر ان تقول له فقال الدرويش انه يوجد فى بلاد الصين مدينة تسمى (مدينة العجائب) لان رجالها من الغلمان حتى الشيخ العاجز يتسترون بالسواد نظيري واذا دخل غريب تلك المدينة يخرج منها بالرداء الاسود واذا دخل مسروراً خرج حزيناً .

ثم ان الدرويش نهض فى الحال وخرج يهرول غير ملتفت الى

ورائه . وأما الملك فغرق في أفكاره وزاد هامه وأصبح كالمجنون ففي ذات يوم غير ملابسه ولبس ملابس التجار وأخذ ما يكفيه من النقود والجواهر وأخذ خمسة أنفار من خدمة الامناء وخرج من المدينة تحت ظلام الاعتكار وجعل يطوف المدن والقري وكل ما دخل مدينة يسأل أهلها عن اسم تلك المدينة ومحل وجودها يجيبوه بأنهم ما رأوا تلك المدينة ولا سمعو بها حتى انه وصل أرض الصين فسأل من شيخ كبير كان توسم فيه الخير عن المدينة فقال له بينك وبينها ستة أشهر فقال له أخبرني عن الطريق فوصفه له فتوجه اليه حتى انه وصل الي المدينة المذكوره فدخلها بفرج ونشاط ثم وجدها كما أخبره الدرويش وشاهد جميع أهاليها بالثياب السود فجعل يطوف في شوارعها متفرجاً حتى انتهى الي فندق معد للمسافرين فدخله وخدمه أيضاً وبات تلك الليلة وفي اليوم الثاني خرج وطاف بالاسواق من جهة الي أخرى حتى أمسى المساء وهكذا مدة ستة شهور وهو يستقصى عن السواد وسببه فلم يجبه أحد بخلاف لا أعلم وهذا قد زاد به الهوس والميل للاطلاع على ما أتي لاجله وقد لازم البحث وكان في هذه المدة قد تصاحب مع رجل جزار وقد أبذل له الدرهم والدينار حتى ان استأثره بالانعام واستغرقه بالعطايا على أمل أن يسأله عما يريد أما الجزار فانه قد تمكن حبه من الملك لانه أصبح صاحب ثروة عظيمة وذلك من ماله ففي ذات يوم من الايام كان الجزار جالساً يتفكر في أمره واذا بالملك قد ظهر ورائه أحد خدمه حامل هدية ثمينة فبدأه بالسلام فرد عليه وقام له واقفاً فأمر الملك خادمه بدخول الهدية بدكان الجزار فأخذها الجزار من الخادم

وقال للملك يا سيدي من حيث قد تمكنت الالفه والصداقة بيننا وقد نلت حتي الساعة كثيراً من أنعامك واكرامك ولا أرى داعياً لذلك من سبب والآن فاني مستعد الى خدمتك فاذا كان لك من حاجة أو مصلحة فاني أقضيها لك فقال الملك أما ما قدمته لك هو شيء قليل جداً بالنسبة لما أريد ان اقدمه لك وما ذلك الا لما رأيته فيك من الخلوص والوفاء والشيء الذي أريده منك هو ان تخلصني من الارق الحاصل لي قال يا سيدي فما هو سبب أرقك فاني أبذل المستطاع في خلاصك منه . فأخبره الملك بجميع ما جرى له وقال في آخر كلامه أريد منك أن تخبرني عن السبب الذي حمل أهل المدينة عموماً أن يترددوا بالسواد ويفضلونه على غيره من الالوان فلما سمع الجزار كلام الملك ارتجف ثم أطرق برهة يتفكر : وبعد ساعة رفع رأسه وقال له الذي تسألني عنه لا يمكني التكلم فيه ولكن حيث انك القيت اتكالك علي فالذي ترغب الوقوف عليه أعدك بصدق في مساء الغد أطلعك على الخبر اليقين فخرج الملك من دكان الجزار الى الخان وانطرح على فراش الارق ويتقلب والافكار تتوارد عليه ولما لاح الصباح نهض من فراشه وجلس متفكراً حتى أرسل الليل بطلائعه وقد مر نحو ساعتين واذا بالباب فتح ودخل الجزار على الملك فقال له اجلس فقال كلا لا أجلس بل تفضل لنذهب فأوقفك على حقيقة ما أنت طالب واظهر لك الامر جلياً فقام الملك وخرج معه ومشيا حتي خرجا من المدينة وسارا في الصحراء الى أن وصلا الى دكة قائمة وبها صندوق معلق فقال الجزار للملك ادخل في هذا الصندوق فلم يخالفه فدخله وجلس فيه واذا به أخذ بالصعود

شيئاً فشيئاً فاندهش الملك من عظم ما لحق به من الخوف واليأس مدة ساعات واذا بالنهار وقد أقبل ولم يزل الصندوق محمولا في أجنحة الهواء مسرعاً بالصعود الى فوق وقد نظر الى وجه البسيطة ليرى مقدار ارتفاعه عنها فلم ير منها شيئاً وقد تألم كثيراً من شدة حرارة الشمس وقد تحير ولم يعلم الصعود الى أين ينتهي ولم ير من وسيلة الا التوكل على الله ولم يزل الصندوق على حاله من الصعود حتى تنصف النهار ثم اخذ في ان يهوي نازلا الى أسفل ولم يمر على الصندوق في نزوله اكثر من ساعتين حتى قرب من منارة كبيرة واسعة كانها جبل عالى متسع وجا لما قرب الصندوق من تلك المنارة قفز منه ورمى بسرعة عليها وفي ظنه تخلص من البلاء وما استقر حتى غاب عنه الصندوق وكان قد مر عليه ليلة ونهار ولم يذق فيها طعاما ولا شرابا وقد لحق به كثيرا من العذاب والخوف واليأس وقطع الرجاء ثم أخذ في أن يتفكر بالنزول عن تلك المنارة العالية فوجد ذلك مستحيلا لعدم وجود طريق منها الى الاسفل ولارتفاعها الغريب العجيب واذ بها سمع صوتا كصوت الرعد وأخذ في أن يشتد ويعظم فملاه الخوف والرعب واذا بطائر عظيم كبير كانه المركب الكبيرة اخذ في ان يرفرف فوق المنارة ويدور حولها حتى استقر به الوقوف عليها وقد اهتزت من ثقله فان كلا من جناحيه بشخص شراع المركب الكبيرة ورجلاه اكبر من صوارى المركب . ولما رآه الملك زاد به الخوف والرعب وصار يشتم الجزار على خيانته به لانه افتكر انه ساحر ما كر وما فعل الا طمعا بماله ومتاعه ومكث مدة على ذلك والطير ينظر اليه ويعرض عنه كانه لم يخطر ببال حتى أصبح الصباح وحينئذ تحرك ذلك الطير

وخرج منه صوت اشبه بالرعد حتي كادت آذان الملك ان تصم تهيأ للطيران واذا بالملك التصق به وقبض بيديه على رجل من رجليه وسأل الله المعونة فقام ولم يعبأ به ولا شعر بتعلقه بل منشر جناحيه فى الهواء وقصد الجو الاعلى الى وقت الظهر فبعد ان كان اخذا في الصعود عاد الي الهبوط شيئا فشيئا وبعد ساعات قليلة قرب من الارض ففى الحال ترك رجله ورمى بنفسه الى الارض فوجد موضعا واسعا جدا مزينا بالرياض والنباتات وكل أنواع الصفاء فشكر الله تعالي ثم أخذ في اقتطاف الاثمار الناضجة عن أشجارها وأكل حتى اكتفى وقد شرب من نهر ماء صافي كان يجري بجانب الاشجار ولبث جالسا في مكانه حتى أقبل الليل وانتشر الظلام فنام في ظل شجرة ثم استيقظ عند الصباح فاخذ يطوف أطراف ذا المكان متنقلا من محل الى آخر حتي أقبل المساء فاكل من لذيذ الثمر وشرب من صافي الماء وشكر الله تعالى ولحسن حظه كان القمر بتمامه فبزغ في مبتدء الافق وانار على تلك الرياض الجميلة الواسعة بنور بديع وقد تلطف بنور القمر ما كان عليه في حرارة الشمس فجلس يتأمل في عجائب الطبيعة ويتفكر في بدائع الخالق واذهب عليه نسيم يحمل روائح أطياب جديدة تحيي العليل ثم ظهرت في الافق غيمة بيضاء كالثلج ومع انها مرت تحت القمر لم تحجبه لعظم بياضها وهي تقرب شيئا فشيئا كالمطر المتساقط كل هذا والملك مندهل وقد مر بعد تساقط الغيمة عشر دقائق الا والوفاء الانوار مقبلة كانها نجوم السماء فاختارت تلك الروضة سكنا لها فتساقطت متسابقة اليها . أما الملك فلما رأى ذلك وقع بالخوف والارتباك واختفى فوق شجرة . ولما دنت الانوار صارت ظاهرة للملك فرأى نحو من

خمساية فتاة لا نظير لها في الحسن والجمال وفي أيديهن شمعدانات من الذهب مرصعة بأنواع الجواهر وقد تقدمن بترتيب وتدبير صفاً صفاً الى ان وصلن من منتصف ذلك المكان وحينئذ أخذن يضحكن ويتزحن وهن يطفن في تلك الساحة وقد أحضرن على اكتافهن الفرش الفاخر وبعد ان أبسطوه على اختلاف انواعه وضعن سريراً كان محمولاً على اكتاف ثمان منهن مجوهر القوائم منقوشا بابدع نقش واعجبه ثم وقفن بترتيب وفي أيديهن شموع من الكافور موقودة واذا بعقد عظيم من الانوار قد ظهرت من المكان الذي جاءت منه الجواري وكانت الانوار مقبلة اليهن وهيئة كالاولى غير ان البنات الاتيات كن أبهى جملا وأكثر اشراقاً من الاوائل وفي وسطهن فتاة بديعة الجمال باهرة المحاسن وقد لاقينها الجوار الاوائل ومشى الجميع بين أيديها وخلفها ومن جانبها فكانت كالبدر التمام محاطاً بالنجوم المشرقه ولما قربت من السرير المنصوب تقدم منها أربع من الجواري الباهرات فرفعنها من تحت أبطيها الي السرير فجلست عليه البعض من الجواري عن جانبيها والباقي وقفن بين يديها صفوفاً وأعينهن محدقة بها كأنهن ينتظرون أوامرها وبعد ان اطرقت في الارض بضع دقائق متفكرة رفعت رأسها وقالت لواحدة من الجواري اسمع صوتاً وأشعر انه يوجد هنا شخص غريب فاذهبي وفتشي جيداً ومتى وجدته ائتني به حالا . ولما سمع الملك كلامها ارتجف بشدة ولم يعد قادراً ان يثبت في مكانه فكاد ان يقع من الشجرة الى الارض من عظم ما وقع به من الخوف فتمسك باغصان الشجرة وجعل يذم نفسه على غدره وقلة وفائه وبينما هو على تلك الحالة واذا بتلك

الجارية تحت الشجرة تقول له أيا ضيفنا العزيز تكرم بالنزول الينا
فهذا المحل غير لائق بك ولا تخف أبداً

فلما سمع منها هذا الكلام اللطيف اطمأن ونزل عن الشجرة وتقدم
من الجارية فأخذته من يده الى جهة تلك الفتاة فرمى نفسه على أرجل
السرير ليقبلهم ويدعو للفتاة بطول العمر والبقاء ثم وقف في أدنى محل
فلما رأته الفتاة تبسمت تبسم الدلال وفتحت فاها وتكلمت بلفظ لم
يسمع أعذب منه بطول حياته وقد قالت أهلا وسهلا ومرحباً بك
يا ضيفي العزيز وحبيبي الفريد . أما الملك فقد احمر وجهه من الخجل
وأخذ العرق أن ينصب من جبهته وصارت ركبتاه ترتجف فمال على
أزيال السرير الجالسة عليه وقبله وعاد وقال اعفي يا سيدتي اني غير
قادر من الاضطراب والخجل أن أتكلم واني أرى نفسي غير أهلا
لان أقف بين يديك وأوجد كعبد في مجلسك . فأجابته برقة مسكرة
لا تخجل ولا تضطرب فليس من مقامك أن تقف فتكرم بالجلوس
على السرير معي لنسر ليلنا بالانس والصفا فكل ما في هذا المكان
هو لك وتحت أمرك . لقد وقفت على أسراري واستجليت النظر الى
وجهي فاذا كنت لا تريد أن نصرف الوقت على الانس و لحظ
والعيش والعشرة كأحباب فكن كأخ لي . فقال لها حاشا يا سيدتي
لمن كان مثلي ضعيفا غريبا يدنو منك وأنت ملكة الحسن والجمال
وبدر اللطف والظرف نعم ان نور بهاك وسناء جبينك لا يقاس بهما
نور بدر ولا شمس ومن أين لي الدنو من البدر وهي في قبة فلك الاشراق
فضحكت الفتاة من كلامه وشكرته وأبدت سرورها وقالت له هلم
اجلس الى جانبي لنتحدث وأخذته من يده وأجلسته بجانبها وأمرت

حتى بيتها باحضار الطعام في الحال فسمعن الجواري من تسكينه وقد حضرن الطعام وأتين بسفرة عليها اطباق من الذهب المرصع بالاحجار الكريمة وفي داخلها الاطعمة شكلا والوانا وكانت روائح العطر والعنبر المنبعثة عن الاطعمة تشرح الصدور وتجلب السرور وكذلك الاقداح المصفوفة على المائدة كان بعضها من حجر الفيروز وبعضها من الياقوت الاحمر وبعضها صاف كالبلور الخالص . وبعد أن أحضرت الجواري السفرة جاءت كل واحدة منهن شمعدان من الذهب في يدها وفيها الشموع موقودة بالعنبر والكافور ووقفن بالانتظار حول المائدة أما ملك الزنوج التي لا نظير لها في المخلوقات فانها أخذت الملك من يده وجلسوا لتناول الطعام وبعد تناول الطعام بكمال المسرة فرغوا غسلوا أيديهم بماء الورد الزكي الرائحة ثم نشفوها بمناشف الحرير المطرز اللين والعمل . فأخذته من يده وذهبت به الى السرير وجلسوا عليه فوجدوا سفرة الشراب وتقدم نحو من خمسة عشر صبية لخدمة الشراب وقد كسين من ذهب الحب كأنهن كوكبات تضيء وتاج كالبدر وجاء . الاتقح بأيديهن وهن يتدللن ويتعطفن ويتبسمن ويظهرن من أنواع الدلال واللطف ما لا يترجم بوصف واصف ثم ملأن الاقداح وناولن الملك في الاول فشرب ثم ناولن سيدتهن فشربت ثم جاءت بأن الباب وفيها الشراب دائر عليهن أحضرت آلات الطرب كالعود والقانون والناي ونحوه فتناولت كل واحدة من الجواري آلات ... اسمون في أن يضربن عليها بفن غريب ... [illegible] ... الغرام والهيام ... [illegible]

ولا بساط العظيم ولما رأت الفتاة ماهو عليه من السرور تبسمت وقالت له بلسان عذب ان شاء الله قد زال عنك العناء ولم يبق بها عندجاك شيء من الخوف والخجل فاجبها نعم ياسلوتي ومؤنسي اني بعنايتك قد حصلت على الراحة والسعادة وأري نفسي في جنة الاقبال وحسن البخت فسرت من كلامه والقت يدها على عنقه وكان لكثرت ماشرب قد وصل الى درجة السكر وحصوصا من تأثير الاصوات البديعة ومن رقص البنات وهي كالبدور الساطعة وفوق كل ذلك فان خد الفتاة قد التهب بالاحمرار حتى فاق الورد لونا وصارت شفتيها كالقرمز وأعينها كالسهم الصائب فدفعه العشق الى تقبيلها في خدها فسكتت ولم تبدي ممانعة فلاح له انها مسرورة فلم يقنع بقبلة واحدة ولا بالف ولا بالفين ثم مد يده الى صدرها ومسك نهديها ووضعهما داخل شفتيه وصار يمصهما مصا لطيفا ثم تركهما وعاد بالتقبيل في الخدود حتي وصل به العشق الي الدرجة الاخيرة وحينئذ دفعته الصبية بلطف وتبسم وقالت له مهلا ياضيفي العزيز وأنيسي المحبوب فكن قانعا بالمداعبة والملاعبة والضم والتقبيل ففي هذه الليلة لايمكن لي أن أسمح لك بنوال الوصال فاذا كنت تحبني وترغب في ان تكون مصاحبا ومرافقاً لي على الدوام لا تكن مهمل الوفاء ولا تخالف كلامي فاذا كنت ذا صبر وقادر على التحمل والتاني ستنال وصالي وتحصل على ماخطر لك واذا كنت قد وصلت الي حالة غير قادر فيها على الصبر والتحمل فهناك البنات وكلهن في درجة علياء من الحسن الجمال فاختر لنفسك ماتحلو في عينك واصرف ليلك معها والى ان يحين الوقت الذي فيه أبيحك وصالى فاختار

ماشئت من البنات فمن بين يديك وطوع أمرك ثم انها التفتت الى احد البنات الجالسات وكانت أبهي من الشمس والقمر وأشارت اليها برأسها فدنت منه تمايل كغصن البان وتبسم عن ثغر كالاقحوان وأخذته من يده وأنزلته من على السرير وقد شعر أنه خرج من الجنة وذاهب الى الجحيم وقد نظر الى فاها فوجدها لا تنقطع عن التبسم والغنج وهي تنعطف عليه وتلاعبه وبعض من البنات قد احتاطوا به ومشوا أمامه وذلك لاستجلاب خاطره ورضاه حيث كان عقله وفكره وروحه عند سيدتهن

وما زلن يتقدمن حتي وصلنا من صيوان منصوب في تلك الجهة وكان الصيوان بديعا منقوشا بانواع النقوش وقد اندهش من حسن مارأى به من الفرش الفاخر الذي لا نظير له وعلى الاخص من السرير وما عليه من الجواهر والحجارة الكريمة ثم ان الصبية انعطفت عليه وصارت تلاعبه وتحادثه بلطف كلامها حتى مال اليها كل الميل وتعانقا المرة بعد المره حتي اشتد به الوله والوجد واذاذاك الصبية نهضت واحضرت الشراب وناولته من يدها فشرب وشربت وعانقته وعانقها ثم نزعت ثيابها وجلست الى جانبه فصار يعانقها ويقبلها ويمص حتى بلغ السيل الربى ودارت الخمره فى الرأس وغاب عن الوجود وفي الحال نزع ثيابه وضمها والتصقت به التصاق اللام بالالف وأزال بكارتها وصرف باقي ليله معها بلذة لم يذق مثلها بطول عمره ونام مع الصبية الى الصباح وكان جسمها أطري من الحرير وأنعم ورائحته أزكى من الند والعنبر ثم نهضت الفتاة وجعلت تفرك يديه ورجليه وتروح له حتى نهض جالساً فعادت اليه وعانقته ولاعبته كالسابق

ولما بان نور النهـار جيداً أخذته من يده وأوقفته وألبسته ثيابه وقادته الى خارج الصيوان واذا بصيوان آخر فدخلوه وقد تهيأ فيه الحمام بتمامه فنزعت عنه ثيابه وأخذت الصابون والماء وغسلت له جسمه حتى فرغت وبعد ذلك ألبسته ثوباً ملوكياً ولبست ثيابها ووضعت يدها فوق يده وخرجوا من الحمـام الي الصيوان الذى كانوا فيه أولا فأجلسته وسقته كاساً من المنعش ثم تركته وذهبت لتغتسل وأما هو فبعد ان جلس وحده قليلا نهض وقصد الخروج من الصيوان الى تلك الحدائق وبعد ان طاف نحو من عشر دقائق عاد الى الصيوان فلم يري لا صيوانًا ولا فتاة ولا أثراً لكل ما هناك غير الاشجار والأنهار فلحق به اليأس والحزن وجعل يبكي كما تبكى الاطفال ثم قام وأخذ يطوف في تلك الارض كالمجانين ومضى أكثر النهـار ولم يذق طعاماً وأخيراً جلس تحت شجرة فأخذه النعـاس وفي وقت الغروب فقـام من مكانه وجلس ينظر الوقت الذي كانوا جاوءا به في الليل الفائت وقد قرب الوقت وقد شعر كاليوم السابق بنسيم خفيف لطيف ثم رأي غيمة بيضـاء فى الافق وقد أخذت تقرب وتمتد وتنبعث عنها الروائح العطرية فصفق من الفرح وكاد ان يطير وحسب نفسه قد ملك الدنيا بما فيها

وأما البنات فبدأن بالورود أفواجاً أفواجاً كما فعلن فى اليوم السابق وأخذن فى الفرش والبسط وتهيئة المكان واذا بالمشاعل قد ظهرت من بعيد وسطعت أنوارها في تلك الضواحى وأخذت كل واحدة من البنات مكانهـا كاليوم السابق ولمـا تم الانتظام قرب الملك من

السرير غير مرتهب ولا خائف فلما رأته البنات قاموا وقوفاً وتقدمن لاستقباله وكذلك السيدة الباهرة فانها نزلت على سريرها وأخذته من يده ورفعته الى جانبها وعاملته بأكثر من الليلة الماضية من اللطف والمؤانسة والتحبب وقالت له انشاء الله تكون قد سررت في ليلتك الماضية فقال ياسيدتي ومالكتي قد سررت جدا منها وبت في حظ وانشراح وفي اثناء ذلك حضر الطعام فاخذته من يده وأجلسته على المائدة الى جانبها وبعد أن فرغوا من الطعام عادوا الى السرير وبدوا بالمداعبة والملاعبة وأما البنات فبعضهن أخذ آلات الغناء فضربن عليها وهن يغنين بارخم الاصوات مما تطرب له الملائكة في السموات وبعضهن قمن للرقص وهن كاشفات عن أيديهن الى حد اكتافهن وكاشفات أيضا صدورهن الى تحت نهودهن فكانت الانوار تنبعث عما بان من أجسامهن الشفافة ومازلن في عالم التياهان الى أن تنصف الليل وفي الحال ابدت لهن الصبية أشارة فخرجن جميعا فكاد الملك يطير من الفرح والسرور وقد ظن أن الفتاة قد ابعدت البنات لتخلو به ويصفوا له بها الزمان فقام في الحال وضمها وأخذ يقبلها وصار يمتص سائلي الحلاوة واللطافة من شفتيها الورديتين وقد عدم الصبر والجلد وهي لم تمانع في العناق والتقبيل وكل أنواع الدغدغة والمداعبة فسكر من خمرة الحب وحركته كثرة الضم والتقبيل الى ان يمد يده الى السراويل ولما رأته الفتاة قد عدم الصبر ووصل الى الدرجة الاخيره من الهيجان تبسمت وامسكت يده وقالت صبرا ياحبيبي لا تكن عجولا بهذا المقدار فانك ان كنت لا تصبر تندم في ابعد فالتاني [illegible] شيء . فقال أراد ياعيوني [illegible] ونور [illegible] أأقدر على

الصبر لا والله ياحبيبتي أواه كيف العمل ليس الامر في يدي فانك بدر ساطع وغصن يانع بل ملاك لامع وأطوارك وأخلاقك ألذ من المن والسلوى فتداعبيني وتلاعبيني وتخلين لي المكان ولا تمنعيني من الضم والتقبيل والارتشاف ولما تلتهب نار فؤادي ويشتد بي الوجد تمانعيني وتطلبين الي الصبر . ارحميني اشفقي علي لا تظلميني فاني في حالة يأس فخصيني برقة قلبك من هذا العذاب الواقع فيه اذ لم يبق لي صبر ولا تحمل أو فاقتليني الآن لان روحي في يديك وماذا يجري لو سمحت لي بوصلك ياروحي يامنيتي فماذا هذا التمنع وهذا الظلم فتبسمت وقالت له كلا لقد أفهمتك من الليلة الاولى يلزمك الصبر والتأني لا تتخل عن العين المذبة وتطمع بنقطة من الماء ولا تضع خزينة من الجواهر وتسعى خلف دينار زائف فقال ماهذا الكلام لقد اشعلت جزوة الحب لين لي في فؤادي وأحرقت بالهوي حبة قلبي ثم تقولين لي تصبر وتحمل امكن الصبر والتحمل انصفيني لا تلقيني في وهدة الهلاك . فلم تجب الا بالممانعة والمدافعة وهي تقول له ياعيوني اصبر تحمل لقد قلت لك المرة بعد المرة اذا كنت لا تصبر تندم فيما بعد واذا صبرت نلت ما أنت طالب ولا تظن اني أغشك أو اخدعك فليس من طبعي الكذب . والخداع . فلما سمع كلامها أفحم عن الجواب وبقي محدقاً بها ثم مر عليهم قسما من الليل وقد أعياه لم الشراب والغناء ودارت الاقداح واتسع نطاق الملاعبة والمداعبة كما كانوا حتي حمي الهجير وبلغ به الجهد الدرجة القصوي عاد الى التماس الرجاء بالسماح بوصلها . فأشارت الي احدي جواريها بمسحوق منه فدنت منه وقبضت على يديه واخذته الى الصيوان الاول

وصارت تلاعبه وتداعبه وتنعمه فيها حتى انهم دخلوا السرير فوجدها بنتا بكرا فازال بكرتها ومازالوا يتقبلوا على بعضهم الى ان لاح الصباح فقادته الى الاستحمام وطيبته بأزكي الطيوب رائحة وألبسته ثيابا أبهى واجمل مما كان قد لبسه في اليوم السابق وقادته الى الصيوان وعادت لتستحم فلم يخرج من الصيوان خوفا من اخفائه كاليوم الماضى فتكأ على السرير فأخذته سنة من النوم فلم يدر عليه ساعة حتى فتح عينيه ونظر الى ماحوله فلم ير صيوانا ولا بنات ولا شيأ مما كان قبل فتكدر وخصوصاً لما جال في فكره مرآي الصبية وما ناله منها من ضم وعناق ورشف ولف ساق فتساقط الدمع من عينيه مدراراً مع انه على يقين من اتيانها في المساء وكانت الدقائق تمر عليه اطول من السنين وصرف النهار على ماتقدم في اليوم الاول وعند المساء اقبل البنات كالعادة وقعد بجانب الفتاة على السرير وصار يتوصل اليها ويقول ارفقى بى واشفقى علىّ ولاتكوني سببا لموتى فقبضت على يده وقبلته وجعلت تقول ياحبيبى لا تنكسر فاني احافظ على راحتك واحب ان لاتكون في يعد ماتدما وانظر كم انت تحبني الآن فانى احبك بأكثر ماتحبني فلا تتوهم بنفسك اني اغشك او لا احبك كلا لكن في ذلك سر وحكمة فاذن لافائدة بغير الصبر والتأنى ويمكنك ان تصرف وقتك معي على الحب والعشرة والضم والعناق والتقبيل الى حين حلول الوقت واذ ذاك لا امنع عنك ماانت طالبه ثم قاموا على حسب ماصار الليل الماضى وقد انهت ليلة بوصال بنت بكر من هاتيك البنات وقد تمتع والتذ كثيرا ومع ذلك فانه لايسلى الفتاة ولا زال فكره معلقا بها وكلما مانعته من وصالها زاد تعلقه بها

وحاصل الامر بعد ان صبروا الليالى الثمنة والثلاثين على الف نوع من انواع التسلى والحظ واصبح فى اليوم التالى من لدرجة الاخيرة فلم يعد قادرا ان يصبر ولم يبق له طاقة على التحمل فقرر فى نفسه ووطد العزم انه لايتوقف في هذه الليلة عن أخذها جبرا ولما أقبل المساء ورد البنات وبوسطهن المفروشات واحضرن السرير ووقفن بانتظار مولاتهن حتى ظهرت من بعيد طهور من وراء حجاب الظلام حتى وصلت الى سريرها فجلست عليه كالعادة وأخذت الملك بجانبها وبدأته بمداعبته وملاعبته ثم حضر الطعام فأكلوا ثم حضرت سفرة المدام وعليها من كل فاكهة وريحان وأخذ البعض من البنات آلات الطرب وأخذن بالغناء والضرب على الآلات ثم ان الملك صار يقبلها في خديها وعينيها وفمها ويمص في شفتيها ويمر بيده على جسمها الناعم الطري فزاد به الهيام والميل فسحبها اليه وقال آه يامليكتي ومالكتي فلم يبق لى احتمال ولاصبر ولا عدت ارى فائدة فى حياتي فاسعديني بوصالك وارحميني تكسبي أجري فتبسمت وقالت له أنت محق ياحبيبي لكن اقول لك الصحيح وابشرك ان مرامك ينتهي عند ماتكمل الاربعين ليلة فهذه الليلة هي التاسعة والثلاثون ولم يبق عليك الا ان تصبر هذه الليلة فقط وفى الليلة الآتية ستنال غرضك قطعا وبدون شك

فقال لها كلا لايمكن فانك تقصدين غشي وخداعي ففى هذه الليلة اريد قضاء حاجتي ولا اصبر قط فزاد تبسمها وانعطفت عليه وقالت له أصبر هذه الليلة فقط فاني أعاهدك صدقا ولا أخاف ففي غد تنال مرامك وتقضي جميع مرامك فتصبرتك أفضل فمثل مالك وليس لسواك

وصول اليه فلا تضيع مالك ولا تسرف فيه فتندم فاشرب المدام وكل الطعام واطرب وافرح وقبلني ماشئت وضمني ماقدرت وافعل كل مايحلو لك غير الوصل فإلى غد وما هي الا ليلة فتنقضي فقال لها كلا كلا لايمكن أبدا أتخلى عن فتاة بديعة مثلك وهي في قبضة يدي فاذا كنت آدمية فانا آدمي فاذا كنت جنية فانا أيضا عاشق مجنون سكن فؤادي عفريت غرامك وهواك ولهذا تريني واقع عليك مصر على نوال المراد لا انفك عنه ولا أتركه ولا أصبر دقيقة بعد ولا ارجع الا فائزا منصورا فهلم ارحميني انصفيني فقد بلغ الصبر حده فقالت له انك مصيب ومحق وان المملوكة ملزومة بالطاعة لمالكها فها أنا حاضرة مستعدة لانفاذ أمرك وقضاء غرضك انما عليك ان تصبر هذه الليلة فقط لان من الصعب تنال مرادك في هذه الليله ولم يبق الا ليلة واحدة فاصبر فهلم الان وكن قانعا بالبوس والعناق والضم والا أضعتني فتندم ولا ينفعك الندم • فلما سمع كلامها قال ان الصبر مستحيل علي وفي نائل غرضي منك هذه الليلة قبلت أولم تقبلي فبالانا في الدرجة الاخيرة من الحياة فاذا قلت لي اصبر ساعة لا أضمن نفسي الى ساعة ولهذا أرى نفسي نائلا وصلك أو مائتا والسلام ولما رأته في هذه الحالة وهو يتكلم وقد اشتد به الحال وهاج كما تهيج فحول الجمال احمر وجهها من الخجل حتى أصبح كالورد الجوري ثم قالت له ياحبيبي اصغ لي هذه مرة فقط ولا تلج فتندم ولا تمهلني زيادة عن هذه الليلة مطلقا ولا تصبر اكثر من ليلة واحدة وفي الغد لا تعد تسمع لي قط لا ولا وعدا في أعاهدك واصدقك ولا اكذبك قط جرب هذه الليلة فقط ففي مساء الغد افعل ما شئت فاعل ولا تعد تسمع كلمة الي الغد واذا رأيتني تمنعت

عليك أو حاولت التأجيل والتأخير فاعمدالي الجبر والاكراه فاكراما لخاطري دع هذه الليلة تمر واجب رجائي والتماسي ثم انعطفت عليه وقبلته ولفت زنودها علي عنقه واكثرت من تقبيله وقالت له تمكن صاحب مروءة كيف يصعب عليك ليلة وقدمضي ثمان وثلاثين ليلة فاصبر هذه الليلة فقط وفي ليلة غدا تتم الاربعون ليلة ويتم صبرك فتنال غرضك وتقضى مرادك ثم لاتعود تنفصل عنى طول العمر ولا انفصل عنك فيما بعد فقال كلا كلا كل هذا تعليق وتغرير هيااسرعي فقد ضاق بي وجدي وعيل صبري هيا هيا فالوصل لابد منه الآن وهذا آخر الكلام وقدسددت آذاني عن سماع جوابك واعذاراتك فلا عدت تجيبين الا بالرضى

وحينئذ وقعت الفتاة بالحيرة والاضطراب بعد أن رأت أن رجاءها والتماسها وتذللها ذهبت سدي وسمعت منه سالم تكن نظنه بعد ذلك الصبرالطويل ومع ذلك فقدقالت بعدأن تنهدت وأخذالدمع يدفق في عينيها انك الآن لاتريد أن تعدل عن فكرك ولاترغب بأن تكبح جواد شهوتك فتقبل رجائي والتماسي وتذللى بين يديك وقد رجوتك كثيراً وأرجوك أخيراً حبابك وبصالحك أن تصبر هذه الليلة فقط فلم يصغ لكلامها وقبض على خصرها وسحبها فظهر على وجهها علامات اليأس والقنوط وتدحرج من عينها على خديها بعض من الدموع ثم قالت له مادمت لاتنفك عن طلبك ولاترجع عن اصرارك ولاتريد أن تصبر ليلة واحدة فها أنا بين يديك فقط در بوجهك الى الوراء دقيقة لمـا استعد لك ثم افعـل ماأنت فاعل وسترى عاقبة الحاحك . فلما سمع هذا الـكلام كاد يطير من الفرح

فلفت وجهه ظنا بأنها تدبر نفسها لينال وصلها ولم يمر الا دقائق قليلة حتى قالت هلم در بوجهك الي ونل غرضك واشفي مرضك فدار بوجهه وهو في أرفع فرح واعظم مسرة فرأى نفسه في الخرابة التي احضره اليها الجزار جالس في الصندوق الذي رفع فيه وقد التصقت يداه في أطراف الصندوق والظلام قد غطي الخرابة ولم يسمع لاصوتا ولا حركة فتحير ولم يدر هل هو في يقظة أم في منام واذا به ير شخصا يتقدم اليه تحت جنح الظلام واذا هو الجزار فتأكده فغاب عن الوجود وقد غمي عليه فاهتم الجزار لاخراجه من الصندوق وجعل يرش الماء على وجهه حتى انتبه فسمع صوته فغمي عليه فرش عليه الماء وبقي يغمى ويفيق عدة مرات وأخيراً فتح عينيه وجلس وصار يبكي ويبقى في حالة يرثى لها اخذ الجزار في أن يسليه ويعزيه وقال له ارفق بنفسك ياسيدي الملك لوكنت أخبرتك عن الحالة التى رأيتها ولو أقسمت لك الف يمين لما كنت صدقتني ولذلك قصدت أن أرسلك الى هناك كي ترى بعينك وتلمس بيدك وتسمع باذنك فتتأكد هذا البلاء الذي وقع علينا كلنا فالبسنا السواد والآن لم يبق قط من فائدة فقد مضى مامضى ولم يكن في اليد حيلة فعليك أن لا تخبر أحداً بذلك فاكتم أمرك واصبر على ما بليت به فلك اسوة بنا فلما سمع الملك كلام الجزار شعر كأن الدنيا انطبقت عليه وأراد ان يقتل نفسه فمنعه الجزار وقال ارفق بنفسك ياسيدي فوفكر ان مامر عليه كان في الحلم لا في اليقظة فما انت أحسن من اهالي هذه المدينة وقد اصبح من المستحيل ان ترى وجه تلك الصبية التى فقدتها وقد مر علينا باكثر مما مر عليك من الحزن

والأسف فبعضنا مات وبعضنا جن والباقي كما ترى وما من واحد نقى نتيجة وذلك كله من أيدينا لان مامن واحد قدر ان يتصبر أربعين ليلة على نوال غرضه وقد جرب الكثير الرجوع ثانية فعادوا الى الصندوق ونزلوا فلم يتحرك ولا انتقل من مكانه وناموا فيه ليالي وسنين دون فائدة وقد كسروه ليحرجوا الناس منه فبعد ان يكسروه وينشروا قطعة في الفضاء يرونه في مكانه كما هو فأعيتهم الحيل وصار كل واحد يندب حظه بنفسه ومن العجائب ان مامن واحد منها نوى وأصر على الصبر أربعين ليلة لا يقدر لا كثر من الليلة التاسعة والثلاثون وأنا كنت احسب الليالي على ذهابك من عندي فلما وصلت الى الليلة التاسعة والثلاثين تأكدت رجوعك فسرت اليك وهذا الثياب الاسود قد هيأته لك فالبس وتوكل على الله واذهب الى مملكتك فالرجوع الى مملكتك خير لك من التحسر والتأوه ثم قاده تحت الظلام الى منزله من بعد مافرغ عليه لبس السواد وعند الصباح اعطاه امتعته حتى خف حمله وودعه وخرج من المدينة حزينا مايوسا ويتأوه وقد ترك الملذات والافراح وصرف بقية عمره حزينا — وهذه حكاية الملك الحزين — فلما سمع ابن الملك والشيخ حكايتها تعجبوا من وقتها ولطفها وفصاحتها وقال الشيخ لله درك ما أعذب الفاظك وما الطف كلامك فشكرته وقالت له ان اردت ان احكي لك حكاية الملك المكسر فهي أحسن والطف منها فقال لها ان سمحتي فيكون لك جزيل الشكر فقالت عفواً ايها الاستاذ

وما أتمت الملكة هذه القصة حتى قام الهام وهو يهتز طربا ويعجب من فصاحتها

وصار يشكرها وكذلك الوزير واما اولادها فاحتاطوا بها وصاروا يقبلونها ويدعون لها بطول العمر ودوام البقاء وما زالوا كذلك الى ان دنا وقت المنام فسار كل الى محل نومه واما السيده ورد شاه أخذت الهام من تحت ابطه وسارت به الى قصرها من باب السر لان السبع قصور كانوا يتصاون ببعضهم بابواب مخصوصة بينهم وكان الهام مندهشا من جمالها وما زالا حتى وصلا الى غرفة النوم وارتميا على السرير الالماسي المصوب بها وقد انضموا كالالف واللام ثم خضعا لحكم سلطان النوم فناما حتى الصباح . وعند الصباح نهضت ورد شاه قبل الهام فهيأت معدات الحمام وعادت فوقفت عند رأسه حتى استيقظ فرآها تنتظره فقام ثم دخلا الحمام واغتسلا وهما كاهما عليه من الانبساط والانشراح ثم احضرت له ثوبا ملوكيا احمر اللون فافرغته عليه بيدها وهي ترشه بالروائح العطرية . ثم ان الهام بعد ان خرج من الحمام وارتاح قليلا وشرب ما كان قد تهيأ له من المشروبات الموزية وجاء الورد الممزوج بالسكر قام وسار وهي ترفقه حتى منتهى السلم فوجد عمر شاه والوزير بانتظاره فركبوا وساروا بالعز والاجلال الى القصر المعد للحكومة فصارت الوزراء والرؤساء يقبلون ايديهم والهام يلاقي الجميع وهو متبسم الوجه حتى قرب المساء فركبوا ورجعوا الى القصر الاحمر وهو القصر الثاني الذي يخص السيده ورد شاه . فلما دخلوا استقبلتهم السيده ورد شاه واخوتها والسيده والدتهم امامهم فتقدمت الى الهام وأخذته من يده وسارت الى الحديقة والجميع

يتبعونهما وكان في وسط الحديقة بركة من الماء مزينة بالنقوش ومحتاطة بالكراسي والاسرة الذهبية فجلسوا كل في مكانه وبدوءا بالانبساط والانشراح واللعب والمراح وقام بين ايديهم الجواري والخدم يتلقون الاوامر ويتسابقون الى مايطلبون وبعد ان استقر بهم الجلوس وجاء وقت الطعام تهيأت المائدة عليها من كل أنواع الطعام الفاخر التركي فجلسوا عليها وبعد مناولة الطعام وغسل ايديهم جيء بالفواكه اللذيذة وبعد الكفاية قامت السيده وردشاه فوقفت بين أيديهم والتفتت الى الهام ودعت له وسألته ان يسمح لها بان تحكي لهم قصة ملك الهند ويمن عليها بالاصغاء الى كلامها فسراهم الى ذلك وأبان لها رغبته فيه فأثنت عليه وجلست في مكانها وأخذت في الكلام فقالت :

« حكاية ملك الهند »

كان ملك الهند حكيم عاقل عادل منصف شاب لا يتجاوز العشرين من العمر وكان على جانب عظيم من العلوم والمعارف وخصوصاً حساب النجوم والافلاك ففي يوم عمل طالع لنفسه فتبين له أن لا يكون له حظ من النساء وسيناله ضرر بسببهن ولذلك تكدر في نفسه وصمم على أن يصرف العمر دون زواج وبناء على ذلك صرف مدة مدة طويلة لا يخطر بفكره جنس النساء قط الى أن غلب عليه حكم القضاء وأخذت أفكاره في أن تتغير شيئاً فشيئاً ونفسه تطلب معاشرة الغادات ومبارزة ذوات القدود ومناهدة ذوات النهود . فقال ذات يوم في نفسه اذا لم أتزوج واقرب من النساء فمن المقرر

لا أترك وريثا للسلطنة فالاحسن أن أتزوج ولكن ماتوسيلة والهم
كل الهم فى وجه النساء • فالحيلة المرأة داء . ذواؤه . داء على داء .
كيف العمل • المرأة . مقبرة تدفن فيها السعادة النفسية وشرف
الوجدان . وكان كلما انفرد في خلوة تلاعبت به هذه الافكار .
وفى آخر الامر قال : من الموافق أن أجرب نفسى مع النساء دون
أن أمتزج بهن امتزاجا حبياً وعلى ما أرى اذ مثلي لا تجسر النساء
على الحاق الضرر به أو أذيته بل بالعكس يكون مبجلا معظما واذا
رأيت الضرر في وجوههن تركتهن ولما قر رأيه على ما تقدم أحضر
اليه وزيره الاول ومستشاره وأطلعه على ماتقرر في ذهنه فاستحسن
وزيره هذا الامر ووافقه عليه وقال له ان ما أراه مناسبا أن تأخذ
لك عدة من النساء فاذا كنا كما تحب ابقيتهن واذا وجدت فيهن
من لا توافقك أخرجها وأبدلها بغيرها حتى ترى انهن قد أصبحن
على حسب مشتهاك

فوافق الملك على ذلك واشتري عشرين جاريه ووضعهن في قصر
مخصوص كان أعده لهن وفى فكره انه يعيش معهن على المسرة والحظ
وعين عجوزا شمطاء داهية دهياء عليهن لتراقب حركاتهن وتري
من منهن تليق ومن لا تليق وتكون مديرة وسيدة عليهن ثم ان
تلك العجوز امرت بتربية وتعليم الجواري وصارت من أسبوع
تكشف حاله الجارية وتستخرج من رأسها خبايا مزاياها . وذلك
انها عندما كانت تقرب الجارية الى الملك كانت تعظمها وتفخمها
وتدعوها باسم ملكه وتبين لها انها أصبحت ربحة الملك المقدمة
فتصدق تلك المسكينة وتقول فى نفسها ما دمت أنا الملكة وحرم

الملك الخاص فلماذا أعلق للجواري وأساويهن في المقام والمحل فتأخذ في أن تنهى وتأمر وفي مدة اسبوع تخرج كل مافي وسعها من الاقوام فتكدر هذه وتوبخ تلك وتشتم هاتيك الى غير ذلك من شروط الامرة والعظمة فما تراها العجوز على هذه الاطوار تقول في نفسها أي خائنة خبيثة ان تركتك على غيك أوصلت الى أذاك وألحقت بي شرك فتأخذ في أن تماندها وتلومها على عملها فتقابلها بالاهانة فتذهب العجوز الى الملك شاكية باكية وتخبره بسوء اخلاق الفتاة ومعاملتها اياها بالعنف وانها غير موافقة له فيغضب الملك على الجارية ويقول للعجوز معاذ الله أن أرضى بغضبك او باهانتك فالجارية التي لا ترضيك لا تبقيها في القصر لاني لهذه الغاية اتيت بك . ومنذ تلك الساعة يغضب الملك من الجارية ولا يعود يقبل ان يراها فتقدم له العجوز غيرها وتدخل معها طرق الخداع والدسيسة وعدم التكليف مدة يومين او ثلاثة والملك يقربها ويدنيها منه ويبين لها حبه وخلوصه ويقدمها حتى ترى في نفسها انها صارت صاحبة المقام والملك واذ ذاك تغير العجوز مشربها ومعاملتها للفتاة فيصيبها ما اصاب غيرها وهكذا حتى طردوا كل الجوارى اللاتي اتوا بهن اولا ثم يأمر الملك بشرى غيرهن

وفي مدة شهرين يصيبهن ما اصاب غيرهن وهكذا وكل ذلك والملك لا يعلم خيانة العجوز ودهائها ومكرها وانها هي المسببة لطرد الجوارى بمعاملتها الظالمة مع انهن كن يقمن بالواجب اللائق ويبذلن كل مافي وسعهن لرضائه وخدمته ومع ذلك لا يصادفن منه الا نفورا وجفاء ومن أين يطيب لهن أن الملك الزمان والعجوز ام

الخبائث والدسائس قائمة لهن بالمرصاد لا تترك للملك مجالا للتمكن من مقابلتهن بالمثل ولا تدعه يرضى عن واحدة لاكثر من يومين او ثلاثة ايام فحالما يأتي الوقت الذي يفكر الملك بأن يعلق نفسه بالفتاة تأتيه العجوز بغيرها وتبين له انها اوفق واصلح من تلك وانها ذات حسن باهر وجمال زاهر وانها لا تزال بكراً عذراء فيميل اليها حتى صار ذلك عادة فيه فاكثر من مشترى الجوارى وامر بالبحث عن كل فتاة جميلة بديعة في كل انحاء مماتكته حتى شاع امره بين الرعية واشتهر ذكره بحب النساء . وقد مر عليه مدة على هذا الحال وصارت ترد عليه تجار الجوارى من سائر الجهات طمعا بالارباح والمكاسب ·

فى يوم دخل عليه شيخ الدلالين فوقف بين يديه واكثر من الدعاء والثناء ثم قال له لا يخفى على مولاي انه حضر فى هذا اليوم تاجر من الصين يصحب معه عدة من الجواري كأنهن الاقمار وبينهن جارية لا يوجد مثلها فى جميع الامصار لا اقدر انا ولا غيرى ان يصفها حق الوصف فاذا احببت فاصدر امرك باحضار التاجر المذكور ودعه يأتيك بالجوارى اللاتى معه .

فلما سمع الملك هذا الكلام امر في الحال بحضور التاجر وبصحبته البنات ولما مثل بين يديه نظر الى البنات فاعجبه حسنهن لكنه لم يقدر ان يعرف الفتاة التى اشار اليها الدلال لانهن كن بالحسن متقاربات ولذلك سأل الدلال ان يدله على التى وصفها فقال أطال الله بعمر سيدي الملك ليست هذه مع البنات

فزاد عجب الملك وسأل التاجر من لا يزال عندك غير هذه البنات

فاجاب بعد الدعاء نعم ياسيد البلادوولي نعمة العباد لا يزال موجودا عندي جارية من احسن الجواري لا اظن لها ثان بين بنات حواء لكن لما كنت اعلم ان بها صفة لا ترضى سيدي الملك لم أحضرها مع بقيه الجوارى لانها لا تليق بعظمتكم فزاد تعجب الملك وقال ماهي الخصلة الرديئة فقال أطال الله بعمر سيدى الملك ان لهذه الفتاة مدة عندى وقد بعتها مرارا والذى يأخذها يردها الى في اليوم الثاني وذلك لانها تكره في الرجال ولا تحب مايحبه غيرها من النساء فلا تمكن أحدا منها ولو قطعوا رأسها مع انها كاملة الاوصاف باهرة الجمال زاهرة الخصال فصيحة اللسان خفيفة الروح لذيذة المعاشرة يسر منها جليسها ويثمل بخمر حديثها سامعها ولولا هذه العلة لكانت اليق فتاة بمعالي عظمتكم

فلما سمع الملك هذا الكلام زاده العجب والرغبة الى مرأى الجارية فأمر التاجر باحضار الفتاة بالسرعة فرجع التاجر الى مكانه وعاد منه بالجارية فقدمها للملك

فلما رأى الملك حسنها وجمالها وشاهد رقتها ودلالها مال اليها قلبه كل الميل واصبح في الحال مغرما بها ولهانا واكتوى قلبه بنار الحب وقد اعجبته كثيرا وعلى الخصوص بعد ان سألها بعض اسئلة اجابت عليها برقة وأدب وحكمة غريبة وقد تعجب من سعة علمها واطلاعها وفي الحال اشتراها من التاجر ونقده الثمن وارسلها الى قصر الحرم . ولما كان المساء دخل الملك الحرم فرأى ان الفتاة احضرت كل اسباب الحظ وهيأت معدات الملك فوق ما يحب وزينت غرفة جلوسه ورتبتها ترتيبا موافقا ووقفت في خدمته فسر من ذلك غاية

السرور وزادت محبتها في قلبه اضعاف الاضعاف . وبعد ان استقر في مكانه دعاها اليه وامرها بالجلوس فأبت وقالت له ليس ذلك من حدى ايليق بي وانا جارية حقيرة خلقت للخدمة ان اجلس في حضرة سيدي ومولاي الملك العظيم صاحب القدر والشأن والملك والسلطان فأطرق الملك لهذا الكلام ثم تبسم لها وتركها رقدد عا العجوز وأمرها أن تعتني بها وتهتم بشأنها فأجابت بالسمع والطاعة ولما رأت العجوز ان الملك يرغب فيها ويهتم بها ويميل اليها انفطرت مرارتها وقالت لاانفع في حياتي اذا كنت اترك الملك على هواه .

وفي اليوم الثاني خرج الملك الى الاحكام فاراد العجوز ان تمتحن الفتاه فاخذت في ذم السلطان امامها ففي الحال احمرت وجنتاها وهاج غضبها ودنت من العجوز فلطمتها على وجهها وقالت لها ألا تختشين مني وتراعين جانبي ياخائنة وناكرة الجميل فانك تأكلين خير الملك وترتعين في نعمه وتشتمينه دون حياء وخجل هل ذلك منك عن قلة وفاء أو انك تجربينني وتقصدين الضرر بي . ثم اعادت الضرب عليها وطردتها خارج الغرفة . فعظم الامر على العجوز وكبر عليها المصاب كيف انها تعاملها بالشتم والضرب بخلاف بقية الجواري التي كن يخفن منها وقد اقامها الملك عليهن مراقبة ولكنها صبرت حتى المساء فدخل الملك دار الحريم فاسرعت الجارية في الحال لاستقباله من بعيد وقبلت ذيله داعية له بكمال الاعتبار والاحترام فاخذها الملك من يدها وقبلها في وجهها وسار بها الى الغرفه المخصصة لجلوسه وجلس في مكانه ووقفت الفتاة بين يديه منتظره خدمة او امرا فطلب اليها أن تجلس فأبت وامتنعت وأبدت ممزرة لطيفة فسكت وقد اشتد به الحب

المقرون بالاعتبار والوقار حتى أصبح كالمخجول ان يطلب منها أن تجلس بالرغم عنها وأن يمد يده اليها ليلاعبها ويداعبها وينال غرضا منها بل بقى جالسا ينظر في جمالها ويتأمل فى معني كمالها وهى واقفة بين يديه تنتظر أمره . واذا بالعجوز دخلت بغتة والقت بنفسها على اقدام الملك . وهي تبكي وتنتحب فسألها عما أوجب لها ذلك فزادت في الانين وقالت له أيليق بمقامك العالى ان خادمتك الامينة على أغراضكم وعلى صالحكم التى ربتكم من الصغر وكانت لجلالتكم فى مقام الام الحنون تهان وتضرب وتحجر عليها من الجارية التى أتيت بها أمس وهى مجهولة النسب لا أصل لها ولا حسب

فتأثر الملك من كلام العجوز كما هى عادته وقد صعب عليه كثرة انينها وتذللها ثم نظر الي وجه الصبية فرآها لم تتأثر ولا تغيرت بل قد احمر وجهها وبان عليها لولا الحياء منه لكانت هجمت عليها وضربتها في الحال . وبعد ان أمعن النظر فيها وتفكر في حالتها ورأي ان خداها قد توردتا من الغضب بلون الجلنار وسال العرق فوقهما كنقط من اللؤلؤ يزيدهما بهاء وجمالا فكاد يغيب عنه صوابه ثم افتكر وقال فى نفسه هل يتصور العقل ان فتاة كاملة الاوصاف بديعة المعانى تتعدي عليها وتضربها بلاذنب ولا سبب عظيم . وكان يفكر بمثل هذه الافكار وهو يحدق بالفتاة وأنوار جمالها تتدفق من ينابيع المحاسن التى خصها الله بها وميزها بآدابها وكمالها عن سواها . ثم رفع الملك رأسه وقال للعجوز انى على يقين انها ما ضربتك الا لتعديك عليها لانك امامى تقصدين اهانتها واغضابها بقولك عنها لا أصل لها

ولاحسب فهذا الكلام وحده كاف لمجازاتك وقصاصك ألا تعلمين أن شرف الملك بشرف كل من فى حوزته فيجعلهم ذات أصل وحسب ويرفعهم عن باقى رعيته خصوصا حرمه الخاص

ثم أمر فى الحال باحضار بعض من الجواري السود وكلفهن باخذها ووضعها فى غرفة مخصوصة ولاتخرج منها الالقضاء الحاجة الضروريه فاطاع الجواري الامر وسحبن العجوز وفعلن بها كما أمر الملك وشددن عليها كل التشديد لانها كانت تعذب الجميع . وأما الفتاة كأنها لما رأت ان الملك جازى العجوز من نفسه دون ان يسألها عن السبب طاب خاطرها وانصرف عنها الغيظ ورأى الملك منها ذلك فسر وقال فى نفسه لابد من ان معاملتى هذه ترضيها فتلين وتخضع فأتلذذ بوصالها وأتمتع بجمالها واتغلب على عنادها كل هذا والفتاة قائمة بين يديه تخدمه وتجتهد فى انفاذ أوامره حتى انقضى الوقت فانصرفت الى سريرها ونامت الى الصباح

ومضي على الملك عشرة أيام صابراً حتى اشتد به الوجد وهاج الغرام ولم يعد فى امكانه الصبر والاحتمال . ففى ليله أمرها بالجلوس فأبت فاكثر من الالحاح والتشديد . ولما رأت لابد من الجلوس جلست وهى تقول كيف العمل (الامر فوق الادب) ولما رأى الملك ان الفتاة قد اطاعت أمره كاد ان يطير من الفرح وقد استدل من ذلك ان الامر قد هان وانها أصبحت راضية بتسليم نفسها اليه فقربها منه واخذ فى ملاعبتها ومداعبتها وعلى الخصوص ان الفتاه لم تمانع مد عنقها اليه ليقبلها والقاء نفسها عليه ليضمها ولا ابدت ممانعة أو مخالفة لامر الملك ودام الحال على هذا المنوال حتى انقضى الليل وطلب

الملك ان تصحبه الى السرير فأبت واعتزرت بالفاظ رقيقة شهية اقتنع لها الملك ورضى بها وسمح لها بالذهاب لغرفتها وفى قلبه غصة تكاد وتذهب بصوابه وهو لايعرف كيف يتصرف معها فانها متسلطة على عقله وقلبه تسحره بكلامها وتأسر برق حديثها وسحر بيانها حتى يتغلب علي هواه ويقهر نفسه عن طلب مشتهاها ولا يقوي على اجبار الفتاة ومخالفتها مع انها جريته وهو ملك لهـا متسلط عليها وله المقدرة علي اعدامها اوبيعها اوحبسها لكن بالنظر لدلالها ورقة معانيها وعذوبة الفاظها ورفع آدابها اصبح الملك اسيرا يسيرا بارادتها ولايفعل الاماتقوله ويري نفسه مسرورا عند ماكان يفعل ماتقول او ماتريد ويحسب نفسه سعيدا

وفي الصباح نهض من سريره فوجدها بانتظاره لاداء واجب الخدمة فضمها اليه وقبلها ثم خرج من القصر الى عمله وعاد فى المساء وقلبه يطير امامه فوجدهـا بانتظاره فلاقته بالتأهب والترحيب ومشت في خدمته الى مكان جلوسه وهي على الخدمة والادب ثم امرها فجلست بقربه ومدت له عنقها فقبلها ومرت عليه هذه الليله كالليلة الماضية وكذلك الليلة التالية حتي مر عدة ليالى وهو مكتف منها بالضم والعناق والتقبيل فقط . وكان فى هذه المدة يبحث في فكره عن الوسيلة التي يقدر بها ان يتمكن منها وينال غرضه دون ان يكدرها او يخالف ارادتها ويعرف السبب الذي اوجبها لكره الرجال . فى ليلة كانا على الحظ والانشراح والمداعبة والملاعبة قال له الملك . أي محبوبتى الحسناء يامالكة قلبى وفؤادي الآن اريد ان اسألك سؤالا واحداً واحب ان تصدقيني الجواب وتطلعيني على الحقيقة لان فى الحقيقة السلامة

فلما سمعت الجارية كلام الملك تقدمت منه وقبلت ذيله بكمال الحشمة والادب ودعت له بدوام العز ورفعة الملك والسلطان ثم قالت له ان جاريتكم يامولاى بانتظار أمركم فى كل آن وزمان وليس من حدى وأنا جارية لعظمتكم وخادمة أمينة مطيعة لاشارتكم ان أتكلم فى حضرتكم غير الصدق والصحيح وترانى ياسيدى وملك رقى مستعدة لان احيبكم على ماتأمرونى به بكل صدق وأمانة .
فسر الملك من كلام الجارية سروراً عظيما وفى الحال قبض عليها من يدها وادناها منه فقبلها في عينيها ثم أجلسها الى جانبه وقال لها . اذا كنت تخبرينى بالحقيقة عن السبب الذى حملك على كره الرجال وبغضهم وربما تتخلصين انت وأتخلص أنا من العذاب الداخلى .
فاطرقت الفتاة برهة وأخذ العرق ان يتصبب فوق جبينها من الحياء والخجل ثم قامت رأسها بعد التفكير وقد ثبتت جاشها و تبسمت وقالت له حيث امرت ان اصدقك الصحيح فهاك السبب فانى اعرضه لاعتابكم . انى لا أكره الرجال ولا انفر منهم وانى أحب الذكور وأسر منهم كغيرى من بنات جنسى وانى أعلم ان لاراحة للنساء ولا حياة لهن بغير الرجال لكن المانع فى ذلك هو انه يوجد فى كل من بنات عائلتنا عندماتصل الى سن الزواج وتضم الى الرجل اما بالزواج واما بالتملك حالما تفض بكارتها تموت فاذا صودف لاحداهن انها لم تمت فلايمكن الا وتموت عند مايأتى زمن الولادة واخراج المولود الى عالم الوجود لانها لاتقدر أن تتحمل الاوجاع والآلام فتموت وقد جربن فى ذلك وسائط كثيرة وراجعن الاطباء والمنجمين فلم يستفدن شيئاً فضلا عن ان البعض ايضا من بنات عائلتنا لم يقدرن

على تحمل ... فيمتن تحت الرجل وبما أني احب ذاتي أخاف ان شهوتي تصيع جمالي وعمري وأنا محققه انه سيصيبني ما صاب لميات من بنت عشاقي ولاجل ذلك لا أحب أن امكن احدا مني من الرجال نعم اني أخدم من يكون مالكالي خدمة لايمكن أن يراها من غيري واجتهد في أن أرضيه حتى يراني فوق ما يؤمل ولكن لاوافقه على مرغوبي

ولما سمع الملك من جاريته هذا الكلام تعجب كثيرا وقال لها ماهذا الكلام الغير موافق هل الانسان يعلم في أي وقت يموت وهل الانسان بغير حكم الله وارادته يموت . فهذا وهم منك باطل ورأي فاسد فما احد من المخلوقات يقدر أن يزيد أوينقص ساعة واحدة في حياته .

فاجابته الفتاة بتأدب نعم يامولاي ان الحق بيد جلالتكم لكن اعتقاد جاريتكم هكذا تأمل يامولاي في حال العالم ترى ان الموت لابد منه ولكن لايكون بلا سبب وان في التحول تأخير في الاجل لان الله عرف بسابق علمه زمن موت الانسان والسبب الذي يتسلط عليه لميته ولكنه لم يجدده له ويحتم به عليه ظلما . ومع ان العالم جميعا يعلمون ان الله قادر على كل شيء وان بيده الاعمار والارزاق ولكن من عاداتهم التحوط والمداواة واليه ترتاح نفوسهم فهم عند الشدائد يصومون ويصلون فترتفع عنهم واذا انهمكوا بالمعاصي والفجور قوبلوا بالامراض والاوجاع ان الله على كل شيء قدير . فالانسان ليس باكرم منه فهو يفسح للاجل وهو يعجله وعلى الانسان أن لا يقصر في المحافظة على حياته التي أمنه الله عليها سبحانه وتعالى

فاذاقصر انتزعهامنه واذااهتم بها وعرف قيمتها تركها في يده زمناطويلا. فلما رأى الملك منها شدة اقتناعها بذلك ورغبتها في المحافظه على حياتها وخوفها من الموت اقتنع ببراهينها ودلائلها فقال اني اسلم معك بما تقولين وانك من الواجب أن لا تمكنيي احدا من الرجال منك لوفرض انى اجبرتك عليه ماذا تعملين وماذا يخرج من يدك . فقالت يامولاى الحق معك فى ذلك لكن لااظن ان عظمتكم تقدمون على مثل هذا العمل واذا افرض المحال وفكرتم باجبارى فالما ارى علامة الاكراه والاجبار اعلم انى هالكة لامحالة فلاانصرفى اهلاك نفسى بيدي واحمال تبعة ذلك على ظالمي ومكرهي . فأجابها الملك لقد فهمت غير المقصود لانك أجمل فتاة رأتها عينى واعقل أبناء جنسك واكثر تأدبا ورقة وقبولا في قلب مالكك فاذا حرمت من لذة هذه الدنيا ونعيمها تكونين في خطإ مبين وأنت تعلمين انى مغرم بك تائه العقل بجمالك وأخاف ذات يوم ان يحملنى العشق والهيام الي درجة الجنون فافقد وصبري واقتنصك جبرا عنك فيكون ذلك على غير ماترضين وربما قادك الى الهلاك فيكون ذلك جريمة خطيئة وخسرانا للدارين لان ذلك يعتبر عصيان على ارادة الله ولذلك أرى أن من الصواب ترك هذا الوهم المتسلط عليك فتكونين كغيرك من بنات جنسك تتنعمين وتتلذذين ولا تحرمين نفسك من نعيم هذا العالم فاذا أدنا الاجل لاتكونين قد حرمت من المسرات والتنعمات واذا رحمك الله وأفسح الله بأجلك فكذلك لاتكونين قد ضيعت صباك محرومة وأحرمت غيرك منك لان أمر الوفاة بدون شك مجهول ولايعلم غير الله . فاجابته نعم ياسيدى ان كل ما أشرتم به

حق وواجب غير أن جاريتكم تلتمس اليكم أن تسمحوا لها بالاصغاء كرما ومروءة وان تتنازلوا بدقة فيما تطرحه لدى أعتابكم العليه اذ من الواجب على الانسان أن يتحرز ويتجنب الامور المخيفة التى يتصور انها ترعبه وتضربه ويعتقد بتأكد انها لا بد أن تقع على رأسه وذلك

أولا لقد تفضلتم بأنه لايناسب للفتاة الشابة الحسناء أن تحرم من لذة الدنيا ونعيمها . فهل ياترى ان الشيخ البالغ المائة سنة من العمر بعد أن رأى العالم وذاق حلوه ومره يئف عند حده من لذات هذه الدنيا ومسراتها لاسيما اذا كان قدصرف اكثر اوقاته الماضية منغمسا فيها متعودا عليها مع أنك بالعكس تراه اذا صرف هذا اليوم متنعما مسرورا يتأمل فى اليوم التالى بمثله اذا لم يكن باعظم وهكذا مهما مرت عليه الايام والسنون فأماله بالملذات لا تنقص وتعلقة بأفراح هذه الدنيا يزيد بأكثر مما فى الشاب

ثانيا لقد تفضلتم أيضا اني اذا كنت أقتل نفسى يكون ذلك جريمة وخطيئة واخسر الابدية أي يعتبر ذلك عصيان على ادارة الله مع انى لست مجنونة لافعل ذلك بارادتي ورضائي فاذا كنت أفعله اختيارا فلاريب يكون ذلك مخالفا لارادة الله جل شأنه ولكن اذا كنت الباعث الى قتلى اذا أرغمتنى واغتصبتنى واكرهتنى على قتل نفسي فتكون عاقبة الخطيئة عليك . فاذا كنت لا تفتض بكارتي رغما وتأخذني قنصا فلماذا أقتل نفسى ولكن اذا فعلت ذلك اضطرا اقتل نفسى ويكون ذلك فى عنقك ففى يوم القيامة ستكون انت المؤاخذ والمسئول وأنا لا يكون عليّ ذنب . فهاك ياسيدي

وسلطاني ومالك رقاب العالم افتكر في ذلك وأنظر ماهو لازم فافعله

فلما سمع الملك كلام الجارية وقد رآه عين الصواب وشاهد فيها صدق اللهجة المقرونة باللطف والانكسار اصبح في حيرة عظيمة وغاص في بحور من الافتكارات وبعد برهة رأى ان لا فائدة اذ ذاك في نوال المراد عزم ان يصرف تلك الليلة مع جاريته كالليالي التي قبلها وعليه بدأ بالمداعبة والملاعبة والتقبيل والعناق والمسامرة والمباسطة حتى مضى الوقت فنام الى الصباح ثم خرج من الحرم وسار الى دار الاحكام وانهمك في امور السلطان حتى المساء عاد الى قصر الحرم فلاقته الجارية بالبشاشة والترحاب وسارت في ركابه الى مقعده وهي تخدمه بنفسها وتزيد له الاكرام والتعظيم وقد صرف ليلته على مثل ما تقدم وفي الصباح خرج الى ديوانه ومر عليه وهو على مثل تلك الحال سبعة ايام لا يفكر الا بالفتاة وكيف ينال غرضه منها وهو يناجي نفسه على الدوام بهذه الجملة (كيف العمل لاحمل هذه الفتاة على الرضوخ من نفسها لنوال غرضي اذ لا يمكن اجبارها) وفيما هو على مثال تلك الافكار خطرت في خاطره العجوز وكانت لا تزال محبوسة وقد سلكت كل طرق الحيل والخداع والمكر والتذلل للخلاص فلم تنجح ولا امكن الافراج عنها بل بقيت الصبية مصرة على التشديد عليها خائفة من شرها ومكرها اهلكها الله فجال في باله أن يأمر باطلاقها عسى انه توقف وقت ربما ان اخلاصها يغيظ الفتاة ويكدرها فأكون عوضا عن استجلاب خاطرها قد ردتها بغضا في ونفورا مني ثم انه فكر في المساء يرجو حبيبته بأن تسمح له باطلاق سراحها اذ زمن العدل اذ لا يزيد

عليها اكثر من ذلك وفى المساء دخل الحرم فلاقته الفتاة كجارى عادتها وسارت به الى غرفة الجلوس فجلس ثم انها وقفت بين يديه وانتظرت أمره وهو ينظر اليها ويحدق نظره فى وجهها ونار الغرام تلتهب في فؤاده فلم يسعه الا انه وقف على رجليه وتقدم منها وأخذها من يدها وادناها منه فقبلها وأجلسها الى جانبه فعلا وجهها الاحمرار والخجل وبعد أن صرفا الوقت بالحظ سألها أن تسمح له بتخلية سبيل العجوز فقد كفاها قصاصا ما مر عليها من عذاب الوحدة والسجن فاضطربت من ذلك وأخذ لونها فى ان يتغير الى الاصفرار وكاد يغيب صوابها ثم قالت للملك بعد ان دعت له بدوام الملك والسعادة كيف ايها الملك السعيد يمكنك ان تكون امينا من خيانة هذه العجوز وحيلها . وانى ارجوك لكى تكون امينا من غدرها وايقاعها بي ان تطلعها من سجنها وتأمر بحبسى عوضا عنها وبذلك لا تقدر ان تغدر بجاريتكم الامينه . فتبسم الملك من كلامها واجابها لا تخشي يا عز من روحى فمن هي هذه العجوز الضعيفة لتغدر بك وتوصل شرها اليك وانت صاحبة الامر والنهى على الملك وجميع من فى مملكته ومع ذلك فانى ادعوها واحذرها من التعرض لك واهددها بالموت اذا صدر منها كلمة ضد ارادتك . فسكتت الفتاة عند ما رأت ان الملك يريد ذلك وهى على يقين انها لا بد من وقوعها بكيد العجوز ولا خلوص لها من شرها ثم قالت للملك حيث ان عظمتكم ترغبون ذلك فانا اقبله على رأسى فقط اتجاسر على الرجاء من عظمتكم ان لا تدعني أري وجهها ابدا

وحينئذ أمر الملك باخراج العجوز من السجن منتفخة من القهر

والغضب مستوية من الغم والكدر خرجت وقد أضمرت للجارية الكيد والانتقام وبقت العجوز لا تتظاهر إلا بالعبادة والصوم والدعاء للملك لا تجسر أن تقف أمام الجارية ولا تدخل غرفه هي فيها وقد أغرت بعض الخدم أن يرقب لها انفراد الملك فيخبرها بذلك جاءها الخادم وأخبرها ان الملك منفردا بنفسه وان الفتاة استأذنت الملك بالدخول الى غرفتها لانحراف قليل في صحتها وقد دخلت غرفتها وأوصدت الباب فكادت تطير من الفرح واسرعت في الحال ودخلت على الملك والقت بنفسها على رجليه وهي تطلب من الله أن يطايل عمره ويديم صولته ويوسع مملكته وينصره على أعدائه وبما ان السلطان كان لا يود ان يجيبها بكلمه ولا يسمع لها قولا رضاء لخاطر حبيبته غير انه رأى من الضروري مراعاة شيخوختها وجبر خاطرها باجابتها ولو بكلمتين . فقال لها لقد عفوت عنك انما لا أرد منك اغضاب الفتاة فتظاهرت العجوز بالتذلل والخضوع واستعملت أبرع طريقة لاستجلاب قلب الملك وشفقته عليها وسكت . وقالت أطال الله بعمر سيدي وولي نعمتي ان حبسك لي وهجرك فخر وشرف لي ومادلك الامنة مننت بها علي حتى لو أمرت بقتلي لوجدتني وأنا تحت يد الجلاد أشكرك وأتمنى لك السعادة وأدعو الله أن يقيك كيد النساء ولا سيما الشابات الجميلات اللاتي يلعبن بالعقول ويتسلطن على القلوب ليفتكن بمن يقع في حبالهن ويقتلن من يقع في شراكهن ولا ينلن عاشقا مراما مالم تبلغ روحه التراقي . وأنا لم يصعب على من حبسي غير انك أحرمتني من تقبيل اذيالك واقدامك كل وقت على ماعودتني عليه ومع ذلك فكفاني انك في صحة جيدة وسلامة

وهــذه غايتي وجل ماأتمناه لاني حبست وتخلصت بأمرك وأنا على يقين انى بعد قليل من الوقت سأرجع الى أعظم مما كنت فيه وتتأكد صداقتي وخلوصي فتشملني برضاك زيادة عما أؤمل بعـد أن يثبت لديك اني سهرانة على راحتك وأخاف عليـك من كيـد النساء لاني أخبر بهن وبأحوالهن واعرف لـكل داء يصدر عنهن دواء .

فلما سمــع الملك كلام العجوز تذكر فعل الجارية معه وحبه لها وخطر له أن يستشيرها علها تعــرف دواء لمرضــه أو تهديه طريقا يتوصــل منه الى نيل المقصود والمراد فقــام على رجليه ودنا من العجــوز واعتــذر اليهــا وقال لها الرحمــة ياوالدتي ومربيتي اني أصبحت في حالة يرثى لها وقد ضاقت بي الدنيا ولم أعرف الوســيلة التي أتخلص بهــا ممــا أنا مصــاب به . ان هــذه الفتاة عجيبــة في أحوالها فهى تـكره في الرجال وقد اعيتني الحيل فارحميني . فعند مارأت العجوز ان الملك عاد اليها وغمرهــا بالتفاته وعنايتــه كادت تطير من الفرح فاغتنمت هذه الفرصه للانتقام وتقدمت من الملك فقبلت اذياله ودعت له ولدولته بالبقاء ثم قالت له لابد الآن نرى فعل جاريتــكم المسكينة العجوز المخلصــه فى خدمتكم فى قضــاء غرضــكم ومتى رأيت انه لايمر أسبوع الا وقد تلتم غرضــكم وتراءت هــذه الفتاة على قدميكم تطلب رضاكم ولاتمنع عنكم أمرا يتأكد لـكم صدق أمانتي ورغبتي في راحتكم ولو أنكم أخبرتوني من الاول بذلك لدللتكم على الطريق الموصــل الى الغايه بسهولة دون تعب ولاعناء ولــكن واحسرتاه ياجلالة مولاي لابد انك تكون قد تعذبت وقاسيت من حر الغرام ولسعة الصد والامتناع ماانفطرت له مرارتكم وذابت له

مهجتكم فقاتل الله الحب وقاتل المحبين الظالمين الذين لا يرثون لحـالة عاشق ولا يرحمون قلب مغرم ويرغبون اذلال من يعلق بهم مهما كان عزيزا واني أشكر الله الذي الهمني بأن أدخل عليك هـذه الساعة لافرج هم جلالتكم وأزيل هم عظمتكم

فلما سمع الملك من العجوز هذه البشارة لم تعد الدنيا تسعه من الفرح فقبل يد العجوز ثانية وقال لها العفو ياوالدتي لقد قصرت في حقك ولم أعرف قيمة فضلك وحبك فلا تذكري في المـاضى بل اهـديني الى الطريقة التي أنال فيها وصال جاريتي باللطف لا بالجـبر وبالاختيار والرضى لا بالقوة والعنف

فجاوبته لا تهتم ياسيدي ولا تعذب قلبك بامر هو أسهل عليك من شرب الماء وقد قلت لك انك ستنال منها الوصال بالرضى والاختيار فقط اريد منك ان تصغى الي وتسمع مني ماأشوره به عليك فجاوبها اني مستعد لفعل كل ماتقولين ولا احيـد عن رأيك قط الا اذا كان فيه استعمال القوة والجبر

وعلى هذا الوجه تهيأت العجوز لكيد الفتاة عدوها الالد فقالت ياملك يلزمك أن تتخذ لك جارية جميلة وتتظاهر بحبها والميل اليها وتداعبها وتلاعبها وتضمها وتعانقها امام هـذه الفتاة وفي النهاية على مرأى منها تدخلها غرفة النوم وتنام معها وتصرف وقتك كله بالحظ والسرور وهي لا تقدر ان تتحمل ذلك اكثر من اسبوع بل تطلب اليك ان تواصلها وترجوك بذلك ولا يبقى لها صبر على هذه الحالة

فلما سمع الملك من العجوز هـذا الـكلام استحسن هذا الرأي وكان يطير من الفرح وحينئذ امر باحضـار جارية بديعـة الصفات

جميلة المنظر واخذ في ملاعبتها ومداعبتها امام الصبيه على حسب ماشارت اليه العجوز وعلمته .

اما الصبيه فقد فهمت لدى مشاهدتها الجارية الجديده مع الملك سر المسألة وأدركت انه من دسائس العجوز الشيطان الرجيم وقد اشارت به عليه لتحرك الغيرة في قلبها فتجلدت وصبرت واجتهدت في اخفاء الغيرة ومن قهرها من العجوز التي قصدت كيدها واغاظتها فصبرت دون جدوى ولم تعد قادرة على الثبات في وجه هذه الصدمة القوية

ان الحق معها كيف تقدر ان تصبر على هذه الحالة وترى الملك الذي كان يثبت لها انه اتخذها كملكة وجعلها صاحبة امره ومملكة قياده وربة بيته يداعب جارية اخرى وفى الاخر يضمها اليه ويحملها امام عينيها الي السرير لينال منها مرغوبه فانفطرت مرارتها لذلك واشعلتها نار الغيرة وهي تثبت نفسها وتتظاهر بالفرجة والصبر حتى مرّ عليها ستة ايام ففرغ الصبر وانتهى بها الحدور أت ان ضياع حياتها اسهل عليها من مشاهدة ما تشاهده في كل ليلة واحتمال تلك السهام الحادة سهام الغيرة التي كانت تمزق احشاءها ففي ليلة كان الملك جالسا لوحده في غرفته فدخلت عليه ووقفت امامه كأنها تنتظر امرا منه لقضاء خدمته وهي في حالة صعبة الاحتمال تكاد تختنق من شدة عذابها فادرك الملك منها ذلك وخاف ان يلحق بها ضرر ولم يعد قادرا ان يتحمل ويصبر علي تعذيبها اكثر مما فعل فنهض اليها وأخذها من يدها وأجلسها الى جانبه فتركت نفسها وما عانته وتظاهرت بالطاعة وقد لحظ منها قبولا بقضاء غرضه فكاد

يطير من الفرح فضمها اليه وقبلها في وجهها وعينيها وأخذ معها في المداعبة والملاعبة . اما الفتاة فانها قبلت الملك ثم قبلت ذيله وطلبت منه ان يسمح لها بأن تسأله سؤالا ترجوه الافادة عليه فأذن لها وهو بكمال السرور والفرح

فقالت أطال الله عمر سيدى الملك انك منذ بضعة أيام شملت جاريتكم الحقيرة بالالتفات وطلبتم الي أن أحكى لجلالتكم بالصدق سبب كرهي للذكور فاصدقت الخبر وبقت جلالتكم المديونة لي فانا يامولاي قدطرحت لديكم حكايتي ولم أكذب عليكم وأجبت الامر طاعة لله ولكم . وبقى على عظمتكم تعترفوا الجاريتكم بالصحيح فصدقني من الذي هداك الي هذا الطريق ومن علم جلالتكم اتخاذ هذا التدبير ويغلب على ظني أن الذي علمكم ذلك هو امرأة لان لايعرف شدة غيرة النساء الا النساء . فلما سمع الملك كلامها رآه عين الصواب وانها محقة في طلبها وان الكذب عليها واخفاء الحقيقة عنها ضرب من الخيانة والمكر اللذين يتجنبها ولاسيما في مثل هذا المقام فلم ير وسيلة للكتمان فقال لها . نعم ان الذى دلني على اتخاذ هذه الحيلة هي العجوز أطلقناها من سجنها وذلك لانه لم يبق لي طاقة على الصبر فارحميني الآن وارثي لحالي وماكانت الحالة التي تحدث لنساء عائلتك الا وسيلة بعذابي وقهري وعندي ان الله سيشفق علىّ ويصون حياتك لي ويخلصك مما تخافين . فطرقت الفتاة الي الارض متفكرة برهة ثم قالت للملك مادام الامر قد بلغ هذا الحد والعجوز المحتاله تطلب هلاكي وقد دبرت على كيدي بسرخاطرها وبفرح قلبها والذي أرجوك أن تمهلني أربعة أيام حتى أدبر نفسى وارتاح من اضطراب الفكر الواقعة فيه . فوافقها الملك على طلبها

وفي اليوم التالى أحضر العجوز بدون علم الصبية وحكى لها ماجري له معها وكيف حملتها الغيرة على الانقياد وطلبت منه المهلة أربعة أيام فمنحتها ماطلبت . فلما سمعت العجوز هذا الكلام طار صوابها وأصبح لونها أصفر كلون الاموات وقالت لماذا ياسيدي سمحت لها بالمهلة فقدقصدت التخلص منك وربما كانت تقصدالفرار لانها لم تطلب المهله الالسوء قصد تريد اجراءة فى نفسها لانها على جانب عظيم من العناد وقديهون عليها قتل نفسها بيدها اذا لم يتسهل لها طريق الهرب . والآن اذا تتغافل عنها أوتصبر عليها خسرتها لامحالة اما بقتل نفسها وأما بالفرار . فزاد هذا الكلام فى اطراب الملك ورأى من المناسب أن يبقى مدة المهلة في دار الحريم لايخرج منها محافظة على الصبية بنفسه فنهض من ساعته ودخل قصر الحريم فاسرعت الفتاة لاستقباله فدخلت به الي غرفة الجلوس وسألته عن سبب عودته فاجابها اني أرى نفسى منحرف المزاج قليلا فرجعت طلبا للراحه فلازمته حتى مرت الاربعة أيام والملك مقيم فى القصر لايخرج منه وقد أسلم تدبير المملكة لوزيره الاول وفى اليوم الرابع كان الملك والصبية معا وقد أخذ بالمداعبة والملاعبة فذكر الملك الفتاة بوعدها .

فاجابته بمنتهى اللطف والأدب والخجل . نعم يامولاي هذا هو اليوم الرابع وفيه وفاء الوعد لكنى أريد لمماليكم أمرا لتكونوا مطمئنين وهو انت تعلم ياسيدى وولي نعمتي أن العجوز تقصد بي شرا وتتمني هلاكي فهى في عيني عدوة لي تترقب الفرص للايقاع بي واهرق دمي وتبزل كل مافى وسعها لنوال منيتها بالانتقام

مني ولهاذا تراني مضطرة على الدوام للتيقظ والتحفظ منها والتحذر والسهر حرصا على حياتي ولذلك طلبت مهله أربعة أيام لاجد وسيلة نافعة لراحتي فتفكرت كثيرا في هذا المعنى وقلت في نفسي اذ بقيت على هذه الحالة فحياتي تعب وشقاء ابات بالخوف واصبح بالترقب وربما كان ذلك مضرا بصحتي فاموت رعما واذا سعيت بقتلها للتخلص منها أفكر أيضا أن الله سبحانه وتعالى لايرضى بذلك وقد حرم قتل النفوس فيكون ذلك على بلاء أشد من بلاء الخوف منها والتحذر من مكائدها واخيراً لم أرى أوفق من آن يأمر سيدى الملك بإبعادها من هنا وارسالها الى بلاد بعيدة باطراف المملكة تقيم فيها باقي حياتها فلا نرى وجهها فيما بعد وبهذه الطريقة اتخلص من شرها وعداوتها وأصبح آمينة على روحي ولايبقى لدى شيء أخافه وانت أيضا تنال ما أنت طالبه مني وفقا لما وعدت عظمتكم به

فلما سمع الملك من الصبيه هذا الكلام كاد يطير من الفرح والاستبشار وفي الحال استدعى بعضا من الفرسان وأمرهم أن يصحبوا معهم العجوز ويسيروا بها الى أطراف البلاد ويتركونها هناك بعد أن وهبها شيئا من المال اخذوها وساروا بها الي حيث أمر الملك . ومن بعد أن اشتفت الصبيه ببعد عدوتها وآمنت من كيدها دنت من الملك فشكرته وقبلته وأخذت تداعبه وتلاعبه حتى طار به الوجد واشتعلت فيه نار الغرام ولم يعد قادرا على التصبر والتحمل سيما بعد أن وعدته وعدا صحيحا وسلمت اليه بنفسها فاسرع وحملها الي سريره وافتض بكارتها وشعر من نفسها بلذة غريبة لم ير مثلها بطول زمانه وقد انشرح صدره وسرورا لامزيد عليه لكنه مالبث أن ظر

الى الفتاة حتى راها قدغابت عن الوجود واصفر لونها اصفرار غريبا
فطار قلب الملك خوفا وجزعا وأمر في الحال باستدعاء أمهر الاطباء
والقوابل واحضر الجواري لخدمتها ولم يكن الاأقل من القليل حتى
حضر الاطباء وباشروا الاعتناء بها واستنشاقها الروائح القوية ودلك
جسمها بالاقمشة الحارة ولم يمر على ذلك اكثر من نصف ساعة حتى عادت
اليها الروح وجلست في سريرها وتبدل اصفرار وجهها بالاحمرار .
وبعد أن كانت الصبيه قدقطعت الامل من الحياة رأت نفسها قدعادت الي
الوجود ثانية فتأكدت كأنها قد ولدت من جديد وأن الخطر الذى
كانت تخافه قد زال . وأخذت تصلى وتشكر الله على عنايته وتثنى على
الملك لاهتمامه والتفاته حتي زال خوفها على يده وقالت له بأى لسان
اثنى على سيدى الملك فما من فتاة فى عائلتي قدرت أن تعيش بعد
افتضاض بكارتها اذا صادف وتحملت فلا بد أن تموت فى وقت الولاده
وها انا قد سررت من عنايتكم ولي ثقة أن أتخلص اذا قدر الله
بالولادة فقال لها الملك ان كل شيء هو بامر الله وارادته فهو رحيم
كريم . وهكذا كان ايضا قد اصابها في وقت الولادة كما اصابها فى
الاول ولكنها تخلصت بعناية الله وسر الملك بها سرورا عظيما وصرف
باقى عمره معها على الحظ والسرور ولم يلتفت الي سواها ولا
مال الى غيرها

ولما انتهت السيدة نورشاه من حديثها شكرها الجميع وقامت اخوتها
وصرن يقبلنها ويهلن أحسنت وأما الهام فقد تأثر عظيما من هذه الحكاية
وغاص بالافكار مظهر غاية التعجب مما سمع واذ ذاك قدقامت حسن وردشاه

واطلقت فصيح لسانها بالدعاء للملك وقالت الليل قد اقبل وجاء زمن . الانبساط والانشراح . فسر همام لكلامها وقام واقفا على الاقدام فقام كل منهم واستأذنوا وانصرفوا والهام أخذ ورد شاه من يدها ودخلا الى غرفة كانت مزينة بجميع أشكال الزينة فرآها مناسبة للراحة وصرف بقية السهرة فيها على ما يرغب وبعد ان لاح جاء وقت النوم فدخلا السرير بكمال السرور والنشاط . ثم حكم لحكم سلطان النوم فناما حتى الصباح . وفي الصباح عاد كما كان بالامس وعند انصرافهم الي قصر الحكم قابلتهم الوزراء بالتعظيم وجلسوا حتى جاء وقت المساء فقاموا وركبوا وساروا الى القصر الثالث وهو قصر حسن شاه فقابلتهم الملكة وبناتها كالامس وهو يلاقي الجميع ببشاشة وطلاقة وجه الى المساء فجلسوا كل في مكانه وبدؤا بالانبساط والانشراح واللعب والمزاح وبعد ان استقر بهم الجلوس وجاء وقت الطعام وبعد مناولة الطعام وغسل أيديهم جيء بالفواكه اللذيذة وبعد الكفاية قامت السيده حسن شاه فوقفت بين أيديهم والتفتت الي الهام ودعت له بالبقاء وطول العمر وسألته اذا كان يتنازل ويسمح لها بان تحكى حكاية السيد سليمان ومن عليها بالاصغاء الي كلامها فسر الهام الي ذلك وأبان لها رغبته فيه فأعادت الثناء والدعاء وجلست فى مكانها وأخذت فى الكلام فقالت

الحكاية الثانية

حكى والله أعلم ان سيدنا سليمان عليه السلام كان غائبا عن تخت مملكته بعض أيام وكان أعطي زوجته الملكة بلقيس مفاتيح خزائنه

وأباح لهـا أن تتفرج على كل شيء ماعدا المقصورة الصغيره فانه أوصاها وأكد عليها بعدم فتحها فلما غاب عنها السيد سليمان صارت تفتح المقاصير مقصورة مقصورة وتتفرج على مافيها من الذخائر والاحوال والغرائب والعجائب التي استجلبها على يد الجن وصناعتهم الغريبة الشكل حتى انتهت الى المقصورة التي نهاها عن فتحها السيد سليمان عليه السلام فشاورت نفسها على فتحها ثم خافت عاقبة الامر حتى غلبها الشوق الى رؤية مافي هذه المقصورة فتجاسرت وحرفت وفتحتها فلم تجد شيئاً فندمت وقالت في نفسها كيف نهاني عن فتح هذه المقصورة ولا شيأ فيها ثم تفكرت طويلا وفتشتها بدقة فوجدت بالحائط دولاب وبابه من الفولاذ فصارت تتفرج فلم تجد شيئاً فيه سوى قمقم نحاس صغير جداً وعلى راسه غطاء من الرصاص عليه فوجدته منقوشا بالطلاسم الاسم منقوش عليه خاتم السيد سليمان فقالت لا بد لهذا القمقم من سبب عجيب حتى نهاني السيد سليمان عن فتحه وصارت تتردد في فتحه والاطلاع على مافيه وتركه حتى حكمت عليها نفسها بفتحه ورفعت غطاءه عنه فخرج منه دخان اسود وصعد الى السماء وهو يتقاطع ويتواصل بشكل مدهش حتى تكامل وانقلب في الحال الى عفريت اسود رجلاه في الارض ورأسه في السماء ويداه كالمداري أو الصواري وهو يلتهب نارا فلما رأت ذلك الملكة بلقيس غاب عقلها وندمت حيث لا ينفع الندم وتحققت نهي السيد سليمان عليه السلام لها عن فتح هذه المقصورة وعرفت انه كان يخاف عليها من هذا العفريت لانها كانت صاحبة عقل وحزم وتدبير وسياسة فقالت في نفسها

الحذر لا يمنع القدر والشطارة في الخلاص لا في اللوم ولا في العتاب للنفس الامارة بالسوء وأما العفريت فانه خاطبها بصوت كالرعد القاصف وقال لها من أنت ياذات الحسن والجمال التي ماراأيت مثلك في الحلاوة والبهاء والدلال وهل أنت من الانس أو من الملائكة فقالت له أنا الملكة بلقيس زوجة السيد سليمان عليه السلام ومن أنت وما اسمك فلما سمع العفريت ذلك اشتعلت ناره وزاد شراره وقال لها الآن قد ظفرت بمقصودي واسمي العر واني حلفت ان خرجت من هذا القمقم لابد أن أقتل السيد وأخذ زوجته لنفسي وتكون [illegible] الملك لي وحدي فانا أريد أن أجلس على سرير المملكة وان لم ترض بذلك [illegible] الجن والطير والوحش والرياح تحت سطوتي وأنت أنا متعجبة يابن العر من [illegible] [illegible] في الحال فقالت له لا مانع مما ذكرت انما كنت فقال لها في القمقم التي فتحتيه [illegible] [illegible]ك في هذه المقصورة وأين في الدنيا يسمع ذلك ويصدق ان عفريتا رأسه في [illegible] القبة ورجلاه في الارض يكون موجودا في هذا القمقم فانا لا أحب [illegible] اتزوج بكذاب فقال العفريت أنت لا تصدقيني اني كنت بهذ القمقم قالت نعم أنا ولا أحد من خلق الله قال واذا رأيت بعينيك تصدقين ذلك قالت نعم فعند ذلك دخل العفريت في القمقم الى كتافه وقال أصدقت أم لا فقالت صدقت بالنسبة لكل جسمك الا رأسك التي هي مثل القبة العظيمة فلا يمكن أن تدخل بهذا القمقم فعند ذلك قال لها العفريت وهذه رأسي وغطس في القمقم فاسرعت الى الغطاء فوضعته على فم القمقم وأحكمته فصار يتماوج فقالت له اسكن

ياأقل العفاريت فصاح وقال والله ماأنا الا أشدهم بأسا وقد أتعبت السيد سليمان عليه السلام مدة من الزمان وما أمكنه حبسي الا بعد عشرين سنة وأما أنت فحبستيني في أقل من عشرين دقيقة فانا مستجير بك تخلصيني من سجني بهذا القمقم وأنا أفرجك على كنوز الارض جميعها فقالت له اخسأ ثم وضعت القمقم داخل الدولاب كما كان وأغلقته عليه فسمعته يقول الحذر الحذر من كيد النساء فانه يغلب كيد الانس والجن أجمعين فضحكت من كلامه وتركته وخرجت وأغلقت باب المقصورة وحمدت الله على خلاصها من يد العفريت ووقوعه في سجن القمقم كما كان

وأما السيد سليمان عليه السلام فانه قضى سياحته وبينما هو راجع في الطريق والجن والانس والطيور والوحوش يسيرون لسيره ويقفون لوقوفه واذ خفق قلبه فوقف وأمر بنصب كرسيه فنصب وكان هذا الكرسي من عمل مهرة الجن

وهو أن السيد سليمان عليه السلام لما أراد الجلوس للحكم أمر مهرة الجن بان يعملوا له كرسيا بديعا بحيث لو رآه مبطل أو شاهد زور ارتعدت فرائصه فاتخذوه من أنياب الفيلة وزينوه بالجواهر واليواقيت واللؤلؤ والزبرجد وحفوه بأشجار الكروم من المعادن وأربع نخلات من الذهب وشماريخها من الفضة على رأس نخلتين منها طاووسان من ذهب وعلى رأس الآخرين نسران من ذهب على رأس كل واحد منهما عمود من الزمرد الاحمر وعلى جهته أسدان من ذهب وجعل تحته صخرتين من ذهب لادارته فاذا صعد السيد سليمان عليه السلام على الدرجة السفلى منه استدار الكرسي بجميع

مافيه كدوران الرحا ونشرت النسور والطواويس اجنحتها و بسطت الاسد أيديها وضربت الارض باذنابها وكذا كل درجة فذا وصل الى العليا وضع النسران تاجه على رأسه و نفحا عليه المسك والعنبر فاذا جلس ناولته حمامة من ذهب الدبور فيغزنها على النـاس ويجاس على يمينه علماء بنى اسرائيل على كراسى الذهب وعظماء الجن على يساره على كراسى الفضة ويتقدم للقضاء فاذا جاء الشهود لاقامة الشهادة دار الـكرسى بمافيه كالرحا وفعلت الاسد والنسور والطواويس ماتقدم فتفزع الشهود فلا يشهدون الا بالحق

فلما مات السيد سليمان عليه السلام أخذ بختنصر ذلك الـكرسى فلما أراد الصعود اليـه ضربه أحد الاسدين بيده اليمـنى على ساقه وقدميه فلم يقدر على الصعود واستمر بتوجع منها حتى مات وبقى الكرسى بانطاكيه حتى غزاها كراس ابن سدان فهزم حابفة بختنصر ثم رد الكرسي الى بيت المقدس فلم يستطع أحد من الملوك الصعود عليه فوضع تحت الصخرة فغاب ولم يعرف له خبر ولا اثر

ولنرجع الى السيد سليمن عليه السلام فانه لمـا خفق قلبـه وأمر بنصب كرسيه وجلس العلماء وعظماء الجن وقال لقد هجس بي هاجس وأظن ان الملكة بلقيس فتحت المقصورة التي نهيتها عنها وتعرضت للقمقم النحاس وان صح ذلك فانى لا أمن مكر العـر الملعون ان يؤذيها بسوء ثم دعي بالهدهد الذى ارسله لهـا سابقا قبل ان يتزوج بهـا وهى بمـدينة سبأ وقال له ياجهينة الاخبار اسبقنى الي مدينة القدس وائتني بخبر الملكة بلقيس وكن على عجل فطار الهدهد من ساعته قاصدا للقدس حتى نزل سراى المملكة وفتش فيها حتي دخل

المقصورة فوقف بطاقة من طاقاتها فوجد العر والملكة بلقيس وهما يتحاوران حتى حبسته وخرجت فانطلق الهدهد بشيرا الى السيد سليمان وكان السيد أيضا أرسل الريح لتأتيه بالاخبار فرأت ما رآه الهدهد فعادت بأسرع وقت والسيد سليمان عليه السلام أخذته سنة من النوم فرأى ملكا أخبره بجميع ما جرى بين الملكة بلقيس والعر من أوله الى آخره فاستيقظ من نومه وهو يقول

ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا ويأتيك بالاخبار من لم تزود

وأذا بالريح والهدهد يستأذنان عليه وأذن لهما فلما رآهما قال لهما ان شئتما أخبرتكما وان شئتما أخبرتماني ثم أخبرهما بالذى جرى من أوله الى آخره فصدقاه على ذلك وشاع هذا الخبر بين الانس والجن والوحوش والطيور وجميع الممالك السليمانيه فتعجبوا غاية العجب ولم يكن لهم حديث يشتغلون به سوي حديث العر مع الملكة بلقيس وقد كبرت فى أعينهم وشهدوا لها بالذكاء والسياسة وحسن الفراسة ثم أمر السيد سليمان بالرحيل فرحلوا حتى أتي القدس الشريف ودخل المملكة وتقابل مع الملكة بلقيس وأخبرها بجميع ما صنعت فسألته أن يسامحها وأن يجعلها فى حل مما فعلت وعاهدته على أنها لا تخالفه بعد ذلك أبدا فقال لها كل شيء بقضاء وقدر ولكن حيث أنك سجنت هذا اللعين الغر كما كان فتمنى على تعطي فشكرته على ذلك وقالت له أطلب منك بساطا من ريش جميع الطيور تصنعه لي الجن على أحسن مثال وأبهى شكل وأبدع وصف لم يكن سبق مثله لاحد من الملوك ويكون طوله مثل عرضه ألف ذراع وتحمله الريح

كلما أريد فاجاب سلبها في الحال . ولما اعلم طلبها هذا جميع الطيور صار كل منهم يهدي اليه من أحسن ريشه حتى اجتمع عنده ريش عظيم من جميع الطيور الا ريش النسر وقد تعهد انسيج ذلك وصنعه جماعة من مهرة الجن

كان السيد سليمان عليه السلام جالسا على عرشه والعلماء جالسين على يمينه وعظماء الجن على يساره وجميع الوحوش بين يديه والهواء والريح من خلفه وجميع الطيور من فوقه فرفع نظره وتفقد النسر فلم يجد له أثر فأرسل اليه جماعة من الطيور ليحضروا منه جانب من الريش فامتنع وقال غير ممكن أن أعطى ريشه من ريشى لامرأة مهما كانت من الدرجة العليا فرجعت وأعلمت السيدسليمان عليه السلام فأرسل خلافهما جملة مرار وهكذا حتى يئس منـه وتحقق عصيانه فقال السيد لقد أتعبنى النسر فمن يأتني بريشه حتي أوفى الملكه بلقيس ماوعدتها به فقالت جماعة من الجن نحن نأتيك به وبريشه فى أسرع وقت قهرا عنـه فقال أنا لا آخذ شيئا بالقهر فهبط أبو فصـادة من وسط الطيور وتقـدم بين يدى السيد وقال ليسترح الملك من جهة النسر وعلى أن أحضر طلبكم منه فتعجب الحاضرون وقال له السيد كيف وقد عجز عنه من هو أكبر منك جسما وأعظم مخالبا وأذكى رأيا فقـال لا تعجب أيها الملك فان الامور بيد الله يقلبها كيف شاء وإذا أراد الله أمرا هيأ أسبابه وأنا أستعين بالله سبحانه وتعالى على قضاء حاجة نبى الله عليه السلام فأذن له فذهب ولسان حاله يقول

لاتحقرن صغيرا عند رؤيته ان الذبابة أدمت مقلة الاسد

وكان لهذا النسر مع السيد سليمان عليه السلام حكاية غريبة وهو أن النسر كان عمره أربعمائة سنة حتى عمى بصره وشاب شعره وضعف جسمه وكان هذا النسر خلف نسر شديد القوة فكان يذهب لخدمة السيد سليمان عليه السلام بعد الطيور وينصرف قبلهم والسيد مترقب منه ذلك فسأله ذات يوم عن سبب ذلك فقال له النسر يا نبي الله أنا في خدمة من هو أحق منك بالخدمه وهو والدي لانه وصل الى درجة الضعف والفناء وقد انتحل ريشه فانا أحفظه صباحا حتى تمر جميع الطيور وهي آتية لخدمتك ثم احضر في آخرها وأنصرف قبلها للمحافظة على والدى منها قبل انصرافها من خدمتك فقال له السيد حيث أنك بار بوالدك ومحافظ عليه فاذهب وائتني به لأكافئك فامتثل النسر وذهب وأحضر والده على ظهره وأنزله برفق أمام السيد فسأله عن اسمه وعمره فقال اسمي سحابة الجو وعمري فوق الاربعمائة سنة وكنت أقوي الطيور عزما أما الآن فحالى كما ترى فقال له السيد سليمان عليه السلام أتحب أن أدعو الله سبحانه وتعالى أن يرد عليك شبابك وبصرك وريشك وقوتك الاصلية قال النسر من لي بذلك فعند ذلك تقبل القبله ودعا الله سبحانه وتعالى على أن يرد عليه ذلك فلما أحس النسر برجوع شبابه وقوته كما كان الصغر تقدم الي السيد سليمان عليه السلام وقبل رجليه وقال له أريد أن أفرجك ومن شئت على الدنيا فأمر السيد بوضع البساط على ظهره وركب وبعض حاشيته فقام النسر وفرد جناحيه وطار في الجو حتي ظن من فوقه أنهم وصلوا الي السماء ونظروا الي الارض فلم يجدوا لها أثرا فقال السيد

سليمان عليه السلام أيها النسر هل تري الارض والجبال قال نعم اني
أنظر رجلا فلاحا بثوب أبيض وهو يزرع في الارض حب البركة
وآخر يحرث الارض وأمامه ثورين أسودين فتعجب السيد ومن معه
وقال أريد أن أنظر ما ذكرت فقال سمعا وطاعه ثم نزل النسر يهوي
الي الارض حتى هبط في غيط الرجل الفلاح فوجده كما قال النسر
ثم جلسوا يتحادثون مع الفلاح حتى مضت ساعة ثم أرادوا القيام
فلم يجدوا النسر وبينما هم يبحثون عليه اذ سمعوا صراخ أولاد على بعد
فتوجه السيد سليمان عليه السلام وحاشيته قاصدين الصراخ فوجدوا
النسر فى فخ مقلوع العينين والدم يسيل من كثرة ضرب الصغار فيه
فمنعوا عنه الصغار وأخرجوه من الفخ وقال له السيد كيف ترى حبة
البركة وأنت في السماء ولا تري الفخ الذى تحت رجليك ان هذا الشيء عجيب
فقال النسر يانبي الله (اذا وقع القضاء عمى البصر) فقال صدقت
ثم دعا الله سبحانه وتعالى فرد عليه بصره ثم حملهم وفرجهم على جميع
الدنيا ورجع بهم الى المملكة وصار فى خدمه السيد سليمان عليه السلام
حتي انقطع عن خدمته ولا يعرف لعدم انقطاعه سبب حتى توجه
اليه الطيور لطلب بعض الريش منه فامتنع وأخيرا توجه اليه أبو
فصاده وقال له السلام عليك ياسيد الطيور فقام النسر غاضبا وحملق
فيه عينيه قائلا ان كنت جئتني بطلب الريش للملكة بلقيس فاذهب
واكفى شرى والا فلاتفاتحنى بهذا الخصوص فقال أبو فصادة العفو
يا سيد الطيور من أنا حتي أتجاسر على هذا الطلب وان كان بسيط
ولكنى حضرت لاتشرف بزيارة سيدى واذا كان لازم له خدمة

فليأمرني بقضائه فسكن غضب النسر وجلس كما كان وقال اجلس
يا أبو فصاده بارك الله فيك فتقدم اليه أبو فصاده وصارا يتحادثان
وهو يرق له الحديث ويأتي له بنوادر لطيفة حتى استأنس به فقال
أبو فصادة ياسيد الطيور اني عجبت منك حيث رأيتني واتهمتني
بأني حاضر من طرف السيد سليمان عليه السلام وأنت على يقين
أنه نبي الله ونحن جميع المخلوقات تحت أمره وفي خدمته وكل منا
يتمنى اشارته ولو يكون فيها اتلافه فلنفرض انى حاضر من طرفه
لاخذ بعض ريش من ريشك فما الذي يهمك من أخذه فضلا عن كونه
له عليك يبقى عنك أما تفتكر أيام شيخوختك ونتف ريشك وعدم
قوتك عجزك عن طرد الذباب عن جسمك أما تفتكر وقوعك في
الفخ واقلاع عينيك وضحك الصغار عليك وضربهم بالحجارة فمنعهم
السيد عنك ودعا الله برد بصرك ورجوع قوتك كما أدعى الله أولا
برد شبابك بعد مشيبك فقال النسر أما من خصوص الجميل الذي
فعله معى فالواجب عليه أن يشكر الله حيث جعله مظهرا لقدرته
الباهرة وأما اخذ ريشى لم يكن له دخل في الطاعة ولم يكن من
شروط الدين وانما هو مرضاة للملكة بلقيس وانا لا احب ان يكون
لى رائحة عن امرأة قط وانى أعوذ بالله من النساء فقال ابو فصاده
أنا كنت اظنك عاصيا للسيد سليمان عليه السلام ولكن تحقق عندى
انك غير عاص ولابد انه حصل لك عبيرة من النساء فأحب ان
تخبرني بالحقيقة لادافع عنك (واذا ظهر السبب بطل العجب) فقال
النسر انا لو اخبرتك بالسبب لعذرتنى

حكاية النسر

فى يوم من الايام قد اشتد بى الجوع فطفت في الجبال والوديان
لعلى أجد شيئًا اسد به الرمق فلم أجد حتى أشرفت على الهلاك
فانتقلت من جبال الصين الى جبال مصر فى يوم واحد ولم أجد شيئًا
فحدثتنى نفسى أن أنزل في مصر واخطف لى شيئًا منها فبينما أنا
هابط الى الارض وجدت قوما يذبحون عجولا وخرفانا وحولهم
طبول وزمور وخلائق كثيرة مجتمعة ورايات منصوبة واعلام مضروبة
فمن شدة جوعى خاطرت بنفسي ونزلت على عجل سمين وخطفته
فتعلق به خلق كثير وكلما ارتفعت بهم تمسك جماعة اخرى فى ارجلهم
وهكذا حتى ارتفعت عن الارض بخمسين متر ولا يمكن انقطاع الخلق
عن مسك أرجل الصاعدين حتى كليت من ثقل العالم وضرب الآخرين
لى بالنشاب والنبل حتى عاقونى عن الطيران فايقنت بضياع الصيد
وكدت ان اتركها وأنجوا بنفسى بعد أن حار بى منهم نحو الثلاثين
ألف نفر وكان لهم معى يوم مشهور وبينما انا قد اشرفت على القاء
ما معى الى وادا شاب معتدل القامة صبيح الوجه تلوح عليه أنوار
الكرامة قد خرق الصفوف وزحزح المئات والالوف حتى وصل
الى القوم المعلقين بى والعجل وقال أيها الناس أما تستحون من الله
سبحانه وتعالى وقد حضر لديكم ضيف عزيز لا تكرمونه ثم تهينونه
وبئست الضيافه وبئس الرجل أنتم حلوا عنه فانى تبرعت له بكل
ما يكفيه من هذه العجول والخرفان فلما سمعوا كلامه تركوا مسك

بعضهم فصرت اهبط شيئا فشيئا حتى تركونى فصعدت بالعجل الى ربوة عالية ونفضت ريشي من النبال وصرت آكل من العجل واذا بالشاب المذكور حامل خروفا سمينا مسلوخا بين يديه حتى جاء قريبا منى وقال أيها الضيف العزيز سامحنا على مافرطنا فى حقك فان الذي حصل لك انما هو من رعاع الناس فاذا أمكثت هنا فى ضيافتي طول عمرى فلك عندى كل يوم خروف سمين مثل هـذا ووضعه أمامى فاشرت اليه برأسى أشاره علم منها انني مسرور منه وقبلت كلامه ثم تناولت الخروف وأكلته وقد بات هذا الشاب عندي وطول الليل وهو يكلمنى ويؤانسنى وأناأشيرله أشارات السرور والفرح والناس بالقرب منه يتفرجون علينا وعندالصبح أمرلي بخروف مسلوخ وأتت عنده على هـذه العاده حتي استأنس بى وصار يجلس بجانبي ويبيت عندى وصرت أذهب الى بيته وأبيت بسطحه وكانت الليلة التى دخلت فيها الى مصر كانت ليلة فرح هذا الشاب ودخوله على زوجته وهي بنت عمه وكان اسمه اصلان بن شاه بندر تجار مصر واسم بنت عمه صناجق وأماأنا فصرت أسرح كل يوم بعدالفطور الى وادى العقيق والياقوت والمرجان وآتي منهم شىء كثير فاضعه على سطح المنزل فى أماكن مخصوصه لذلك وتارة أسبح على البحر المالح فاستحضر الصدف المحتوى على اللؤلؤ وصاحبى يستلمه وهو فرح مسرور بى وقد زاد فى اكرامى وقد صار أكبر تاجر فى العقيق والياقوت والمرجان واللؤلؤ وقـد مضى علينا عشر سنين ونحن في أحسن حال اذ ان مرض صاحبى بداء عضال توفى فيه الى رحمة الله تعـالى فحزنت من

أجله حزنا شديدا وانتشر الحزن في مصر وكان لمشهده يوم مشهور وانا سائر فوق النعش ابكي عليه حتي وصلنا الي المقبرة فدفن بها ولما ارادوا اهالة التراب عليه ارادت زوجته ان تدخل معه القبر فمنعها الناس فلم يقدروا ولكنهم لم يزالوا بها حتي ابعدوها عن القبر واهالوا عليه التراب ولما ارادوا الانصراف بقيت زوجته ملازمة للقبر فحاولوا اخذها فلم يقدروا وقال بعض الناس اذا كان الطير الذي لم يكن من جنس بني آدم يحزن على صاحبه كل هذا الحزن فكيف زوجته ثم تركوها وانصرفوا لحالهم واما هي فبقيت تبكي ليلا ونهارا وانا مقيم بجوار التربة لا افارقها خوفا عليها من شيء يؤذيها وبعد ثلاثة ايام اتفق ان حاكم مصر امر بصلب انسان ووضعه على الخازوق مقدار ثلاثة ايام فكان ذلك ومكث حوله العسكر للمحافظة عليه لئلا تسرقه اهله ويدفنونه فلما كان الليل مر رئيس العسكر الذي عليه الدور بالقرافة فوجد زوجة صاحبي تبكي وتنوح فانكر حالتها وسألها عن سبب هذا الحزن المدهش فأخبرته بوفاة زوجها فقعد بجانبها وصار يلاطفها ويحادثها واحضر لها اكلا وشربا فأكلت وشربت خمرا وطربت وقال لها لاتحزني فأنا اتزوج بك بدلا من زوجك والحي افضل من الميت فرضيت واتفق على ذلك وصارا يتحدثان ويتغامزان ويتلاعبان ثم خفق قلبه فقام واقفا وذهب وماكان غير قليل حتى عاد اليها وهو يضرب كفا على كف ويقول ذهب عمري فسألته عن الخبر فقال لها ان المصلوب سرقته أهله والعادة ان الذي يسرق في دوره المخروق يتقل بدله ثم بكي وحث التراب على رأسه فقالت له لا تخف

ولاتحزن وأحسن طريقة لنجاتك أن تأخذ زوجي المتوفي وتجعله
على الخازوق بدلا من الذي سرق فقال لها هذا هو الصواب ثم قام
ونبش على القبر واخرج زوجها فلما رآه قال لها ان المخزوق كان أعور
وهذا بعينيه فقالت له اقلع له عينا فاستصوب رأيها وأراد أن يقلع
عينه فهجمت عليه واختطفته وطرت به الي الجو الاعلى وضربته في
الجبل فتفرق جسمه ثم نزلت الي الارض فوجدت زوجة صاحبي
آخذه في الهرب فخطفتها وفعلت بها مثل مافعلت بصاحبها ورجعت
الي صاحبي فدفنته وواريته في التراب ورجعت الي هنا وعاهدت
نفسي أن لا أدخل بلد بها نساء

فانظر كيف كانت تحب زوجها وأرادت ان تدفن معه وكيف لازمت
قبره فهل بعد ذلك يرضى أحد أن يكلم النساء فضلا عن أن يعطيهم
ريشه لا كان ذلك أبدا والموت اهون على من ذلك ثم سكت ولسان
حاله يقول "

ان النساء شياطين خلقن لنا نعوذ بالله من كيد الشياطين

فلما سمع أبو فصاده كلام النسر قال كنت أظن ان سيدي النسر
امتنع من اعطاء ريشه الي الملكة بلقيس لامر عظيم ، كنت أود
الوقوف على حقيقته بفروغ صبر وقد سمعته فاحب ان تسمع حكايتي
فقال النسر هات ماعندك

حكاية أبو فصاده

أعلم يا سيدي أن الله سبحانه وتعالى لما خلق الاشياء بقدرته
ودبرها بحكمته فلم يجعل الناس سواء في الفضيلة والرذيلة من الناس

من دأبه الفضائل والخصال المحمودة ومن الناس من دأبه الرذائل والافعال المفسودة وكل ذلك حسب ماقدر الله في الازل . اذا علمت ذلك عرفت أن النساء لم يكن كلهن في الطباع سواء فمنهن المذمومة كالتي قصصت على قصتها ومنهن الممدوحه وسأخبرك بما شاهدت بعيني وأنا أقسم بالعلي الذي والطاعة التي في عنقي الي نبي الله سليمان أني لا أحدثك الا بالحق ولا أنطق الا بالصدق

وهو أني لما كنت صغيرا أتعلم الطيران وكنت تارة أطير قليلا وتارة أقع واذا بولد صغير هجم علي وأخذني فلم يمكني الانفلات في يده وكان هذا الولد وحيدا عن والده شيخ تجار مدينه بغداد واسمه العيدروس فطلب منه ولده عطية أن يصنع له قفصا من ذهب فأحضر لي القفص مرصع بالجواهر وجعلني فيه وصار يتعهد بأكلي وشربي بنفسه وهو حريص علي ففي بعض الايام ترك القفص مفتوحا سهوا فخرجت منه وصرت أطير خارج المنزل وأتفرج على المياه والبساتين ولما قرب الليل رجعت الى القفص ودخلت فيه فوجدت صاحبي يتلظى أسفا ولهفا على فواته القفص مفتوحا ولما رآني حضرت بنفسي ودخلت فرح واستبشر ولم تغلق على القفص قط فصرت كلما أطير على كتفيه وأقف في حجره ان كان قاعدا حتي أني كنت له ملازما في جميع أوقاته ليلا ونهارا كل ذلك وهو مسرور مني وفرحان بي ففي بعض الايام عزم العيدروس على التجارة فشحن مراكبه زعفران فقصد بلاد العجم حتى نزل بساحة تبريز العجم وكان بها شيخ التجار فنزل على الميناء وتقابل مع العيدروس وسلم عليه واستضافه في هذه

الليلة فلما جلسوا على الطعام قال له عندي قط يمسك الشمعه بنفسه من وقت العشاء الى الصباح فاستغرب الميدروس هذا الامر وقال ما أظن قال تمسك معي رهانا فقال نعم فاتفقا على أنه اذا وقف القط ماسكا الشمعة من العشاء الى الصبح فالميدروس يتجرد من جميع ماعنده من المراكب المشحونه ويكون عبدا رقيقا مالكا لشاه بندر تجار تبريز العجم واذا لم يكن القط مسك الشمعة الى الصباح يكون شاه بندر التجار وجميع ما يملكه ملكا للميدروس ثم كتبا شروطا بينهما على ذلك وشهدت عليهما وجهاء المدينه ولما تمت الشروط نادي شاه بندر التجار برفيع صوته وقال ياشمس واذا بقط عظيم جميل الخلقة وبيده شمعة عظيمة موقودة قد جاء يجري حتى وقف بالمجلس ولم يزل واقفا بالشمعة موقودة من العشاء الي الصباح والناس شاخصون اليه فعند ذلك استلم شبندر التجار جميع مراكب الميدروس وقلعه ثيابه وألبسه خلقا قديمة وأرسله مع خدمه في بستانه فصار الميدروس يخدم معهم ويحمل فراشه التراب وعلم له أن كل هذا الخدم أصلهم تجار مثله وكسبهم وأموالهم بهذا الرهان

ومازالت زوجته وولده في انتظاره مدة حتى يئسا منه وفي يوم من الايام كتبت جوابا وجاءت الى في القفص وربطته تحت جناحي وقالت لى اذهب الي العجم وابحث عن سيدك فان وجدته أعطيه هذا الجواب والا فاحضر به فتركتها وطرت الى بلاد العجم ومازلت

أبحث في البلاد والبساتين حتى يئست من وجوده وبينما كنت واقف على شجرة ببستان واذا بصاحبي العيدروس واقف بوسط خدم البستان بملابس بالية وبيده فاس فأسرعت بنزولي على كتفه وصرت أرفرف بجناحي فلما رآني أخذني وصار يقبلني ويبكي فرفعت جناحي عن المكتوب فأخذه وقرأه فغشي عليه ولما أفاق كتب جوابه بجميع ما جرى له وربطه تحت جناحي فتركته وطرت به الى أن وصلت الى زوجته فأخذت الجواب ولماقرأته بكت وفي الحال أحضرت تجارة عظيمة واحضرت لها جانب من الفيران وقصدت تبريز العجم حتى وصلت فقابلها شبندر التجار وهي بملابس الرجال وقد جعلت داخل ملابسها صيادة للفيران بصنعة متقنة بحيث أنها تمد يدها وتمسك الفار وتشاور به للقط أو ترميه من يدها ولا أحد يشعر بها وضافها الى منزله وبصحبته التجار والاعيان وما زالوا فى حديث ومسامرة الى أن قال أنه يوجد عندي قط يمسك الشمعة بيديه ويقف على مؤخريه من العشاء الى الصباح فقالت له هذا لايمكن أبدا فقال انه عندي ممكن وقد راهنت جملة تجاروأكسب منهم الرهان فقالت انى لا أصدق بالسمع الا اذا نظرت عيني وقال دونك وعقد الرهان فكتب العقد وشهدت التجاروالاعيان بانه يوجدعند شبندر تجار العجم قط فاذا مسك الشمعة من العشاء الى الصباح من غير ملل بدون أن يحرك نفسه أدنى حركة فيكون التاجرالبغدادي وجميع ما يمتلكه ملكا الى شبندر تجار العجم واذا كان القط المذكور بضد

ذلك الوصف فيكون شبندر تجار العجم وجميع ما يمتلكه ملكا الى التاجر البغدادي المذكور ويتصرف فيه كيف يشاء حتى جاء وقت العشاء فصرخ شبندر التجار بقوله شمس واذا بالقط داخل وبيديه الشمعة ثم وقف مسافة والتجار ينظرون اليه فمدت يدها وأرسلت فارا فالقط عندما شم رائحة الفار رمى الشمعة من يديه ورمى بنفسه وراء الفار وكل ما يقصد جهة يظنون الجالسين أنه يقصدهم ليفتك بهم فيصيحون عليه (هيدر هيدر) (واى واى) حتى بقي لهم عيطه وصياح اهتزلها شأن البلد وفزع الملك وسأل ما الخبر فأخبروه فركب وتوجه الى شبندر التجار فوجده جالس بين التجار والاعيان وعندما رأوا الملك قاموا اجلالا له فقال الملك ماذا جرى ياأمير التجار قال أنا عندى ضيف وتراهنا على قط يمسك الشمعة من العشاء الي الصباح وعندما وقف القط عاكسه بعض الجالسين فرمى الشمعة وهجم على من أراد مماكسته فالمتراهن معى هذا التاجر ويقول لى سلم لى نفسك وأموالك على حسب عقد الشروط وأنا أقول له ان هذا شيء يستحيل لاني واثق من هذا القط أنه لا يرمى الشمعة الا لسبب عظيم وأنا راهنت جملة تجار وأكتسب الرهان فنظر الملك الى التاجر (وهى زوجة الميدروس) وقال له ما قولك فقبلت الارض ودعت للملك بطول العمر والبقاء وناولته ورقة الشروط (عقد الرهان) فأخذها من يدها وجلس وأجلسها بجانبه وأمر الجميع بالجلوس ثم قرأ الشروط ونظر الى شبندر التجار وقال أتعترف بذلك قال نعم

فقال له أحضر القط فصاح شبندر التجار وقال ياشمس فحضر القط ويديه الشمعة فوقف وأبصار التجار محدقة به والملك متعجب والقط لايحول نظره عن زوجة العيدروس وأماهي فعاقلت الجالسين وأخرجت من كمها فارا ووضعته من وراء الملك ولم يشعر بها أحد وأما القط عند ماشم رائحة الفار في الشمعه ووثب على الملك يريد خطف الفار من ورائه فظن الملك أنه يريده فسحب السيف وضربه فشطره نصفين وصاح على يارجالى واذ بالعساكر محتاطين بقصر شاه بندر التجار وقائد الجيش واقف داخل المكان الجالسين به التجار والاعيان وهم يرتعدون من شدة خوفهم فأشار الملك للقائد بأخذ شبندر التجار فى الحديد وأخذ زوجة العيدروس في يده وخرج من القصر وكانت العربة فى انتظاره فركبا وسارت العربة الي قصر الملك فنزل وأمر لزوجة العيدروس بتوجهها الى السلاملك وعند الصباح أمر بحضور شبندر التجار والتاجر الغريب وتنفيذ الشروط فبكى شبندر التجار وقال قد انتقم الله منى للتجار الذين سلبتهم نعمتهم ثم تجرد من أملاكه وسلمها الى زوجة العيدروس على يد الملك وتركت قصر الملك وتوجهت الى قصر شبندر التجار بموكب عظيم وأمرت الخدم بحضور خدم البساتين فنظرت الى زوجها وهو فى زي الخدم وعليه آثار الذل والكآبة فأمرت به الى الحمام وصرفت الباقى بعد ما أعطتهم قيمة أموالهم الذي كسبها منهم شبندر التجار وعند المساء اختلت مع العيدروس فى مقصورة مزينة بأنواع الزينة وأحدثت

تضحك وهو مطرق رأسه الى الارض حياء منها لمعرفته بنفسها فتعانقا وبكيا بكاء شديدا من شدة الفرح باللقاء بعد الشتات ورجعا الى بلادهما وأنا معهما

فانظر أيها النسر الى صنيع هذه المرأة التي خاطرت بنفسها في البحار وفعلت فعلا يعجزعنه فحول الرجال الامر الذي يؤكد لك أن النساء ليس كلهن سواء وأن الملكة بلقيس حازت عقلا وفهما وفطنة وأمانة وعفة فلا يمكننا انكارها ثم حدثه بجميع ماجرى بينه وبين النسر فلما سمع النسر ذلك الكلام لان قلبه وتوجه مع أبي فصادة الى نبي الله سليمان عليه السلام واعتذر له مما جرى منه وأعطاه الريش المطلوب

ولما وصلت من حكايتها الى آخرها سكتت فشكرها الجميع وقام الهمام وهو غائص في بحر من التعجب وقال ان هذه الحكاية تكون مثالا للمرءة العاقلة لتعلم مقدار الزوج وكيف أنها تسعى وتتحمل المشقات في احياء زوجها بعد وقوعه في الشرك أما المرأة الجاهلة المنغموسة في هوى نفسها لا تأمن من الخطأ ومزلة القدم لان الهوي يعشي بصرها ويجعلها عرضة لزوال النعمة وبعد أن سكتت استأذن الوزير وسار الي المحل المعد لاقامته ثم استأذن الجميع وساروا وأما ورد شاه أخذت الهمام من يده ودخلت الى غرفة النوم وصرف ليلته معها على الحظ والسرور حتى وصل الى غرفة النوم وبعد أن نام عدة ساعات نهض من النوم فوجدها قائمة عند رأسه بانتظاره فقام وقبلها

في عنقها وخديها ولما انتهى من استصماجه بها سارت به الى الحمام فنزعت عنه ثيابه وأخذت في أن تغسله بيدها وترش عليه العطورات الزكية والمياه المقطرة من أزكى الازهار وكانت قدهيأت له ثوبا أخضر بلون الزمرد فأخذت في أن تفرغه عليه وهي تمازحه وتقبله وتباسطه وكان الهمام مسرورا جدا ثم انه ودع زوجته وردشه وخرج وسار الى محل حكمه ولما انتهي اليوم قام وسار الى القصر الاصفر وهو قصر حل شاه وبصحبته الوزير وصهره حتى وصلوا وهم محفوفين بالاتباع والخدم وعند دخولهم وجدوا الملكة وأخوتها بانتظارهم عند الفسقية حيث كانت معدة بكل مايلزم من كراسي وأسرة وأكل وشرب وزينة وروائح حتى من يراها يظن أنه كان يرى من نفسه أنه في الجنان محاطا بالحور الحسان وبعد ان أكلوا ما طاب وشربوا ما لذ لهم قامت حل شاه ودعت الملك الهمام وقالت اذا سمح لى الملك بأن أقص عليه قصة شر وخير فقام الهمام وشكرها وقال اذا سمحت أن تتمي ليلتنا بعذوبة الفاظك بفصاحة لسانك فنكون لك من الشاكرين فأثنت عليه وجلست وابتدأت تقول

﴿ الحكاية الرابعة الخير والشر ﴾

في ذات يوم من الايام خرج من بلد اثنان أحدهما يدعى خير والآخر شر وسبب تسميتهما بهذين الاسمين أن الاول كان رقيق الطبع حليم الاخلاق يرغب في خير عدوه كما يرغب في خير صديقه

ولذلك دعي بخير . والثاني كان ردىء الطبع حاد المزاج مفسديا انما يتمنى الضر لكل انسان فلقب بشر وقد حكمت التقادير بخروجهما للسفر مع بعضهما

ولما خرج الاثنان من المدينة استدما البر الاقفر مع ان خيرا كان يتألم كثيرا من مرافقة شر لكنه كان يسالمه ولا يضمر له غير الخير وأما شر فانه كان بالعكس فانه كان يتمني عذاب رفيقه وايقاعه بالنكبات وكان كلاهما يحمل على جوادة طعامه ومائه الا أن خيرا عندما يجلس الاكل يدعو شرا لمشاركته فيأتى شر ويشاركه فى طعامه ومائه وقد خبأ طعامه وحرص عليه وداما على ذلك مدة أيام حتي بعدا عن بلدهما بعدا شاسعا وحينئذ فرغ الاكل والماء من خير ولم يبق عنده مايسد به رمقه وأخذ الجوع والعطش فى أن يفعلا فيه ويشتدا عليه . فقال لرفيقه يا أخي كن منصفا فانما مثلما أكلنا الطعام وشربنا الماء اللذين كنت أتيت بهما فمن العدل أن نأكل ونشرب الطعام اللذين معك بينما نكون وصلنا احدي المدن فنبتاع مايكفينا . فأجاب شر بحدة كلا لان ما معي من الزاد لايكفيني لوحدي فلماذا لم تحرص أنت على مائك وزادك . فقال خير أنت تعلم يا أخى ان زادى لم آكله لوحدي بل أكلناه أنا وأنت فلا تكن ناكرا للمعروف جاحدا للجميل فعاملني كما أعاملك . فاجاب شر ومن حملك على ان تدعني ان آكل طعامك وأشرب ماءك ألم تكافني أنت نفسك الي ذلك فانا اجابة لدعوتك فكنت أفعل أما أنا فلاأدعوك ولاأريد أن أكون مجنونا مثلك فلا تطمع منى بنقطة ماء أولقمة خبز

فسكت خير متكدرا من رفيقه حتى اشتد عليه الجوع والعطش وكان الحر قويا حتى لم يعد قادرا على تحريك لسانه وفتح شفتيه ولم يكن فى كل تلك الناحية عين ماء ليستقى منها ولما رأى شدة مصاب رفيقه لم يكتف بما فعله بل جلس على الارض ومد زاده ونصب كوز الماء وأخذ فى ان يأكل ويشرب وعين خير تنظر اليه وقلبه يتحرك على الماء ولم يجسر ان يغضب شرا ويحمله على السماح له بجرعة ماء أنه رديئا وقويا وشريرا وسفاكا لايشفق ولايرحم . وما زال الحال يشتد على خير حتى ذهب عقله من رأسه ونشف ريقه ولم يعد قادرا على الاتيان بحركة وقد أيقن بهلاكه . ثم عاد الى التذلل والتوسل الى رفيقه فقال « اكراما لله ولرسوله أشفق علي وارحمني واعمل معروفا معي وكن ذا مروءة واحسبني غريبا منك لان روحي وصلت الى شفتي تذكرني لم أعاملك الا بكل خير وما أسأت اليك قط فسمح بنقطة ماء فقط لابل بها لسانى وبذلك تحييني وتدفع عني الموت ارحمني يرحمك الله . اني أموت الآن من قلة الماء . المعونة المساعدة . الرحمة الشفقة . ان روحي تخرج مني الآن ولا سبيل الى الماء الا منك فسد شر آذانه عن سماع كلامه وبقى مصرا على عناده وقساوة قلبه وقال له عبثا تحاول فاني اذا سقيتك من مائي يفرغ فالاحسن ان أتركك تموت واذهب أنا فى حال سبيلى . فزاد الامر على خير وأعاد التوسل والرجاء وقال له ألا تشتري حياة انسان بنقطة ماء نقطة واحدة صبها على لسانى فهذه لا تنفذ ولا تؤخر فى الماء الذى معك فاذا تركتني أموت لاجل نقطة ماء تقع في العار ويلومك الناس خف

الله والانبياء وافتكر انك اذا لم ترحمني يوقعك الله بمصائب أشد من مصابي فلا يرحمك أحد ويقسو عليك القلوب فتموت معذبا : فلم يتأثر شر من كلامه بل أجابه بحدة وغيظ اذا كنت لا تكف عن طلب الماء حملتني على قتلك بيدي والخلاص منك ومن ثقلتك

ورأي خير أن لا فائدة له بالحصول على الماء وقد بلغت روحه التراق وخارت قواه فايقن بالهلاك والفناء . وحينئذ مد يده الى وسطه وأخرج كيسا تناول منه حجرين من الياقوت لا يوجدان في خزائن الملوك فاراهما لشر وقال له هاك هاتين الجوهرتين فخذهما ومدني بجرعة ماء احسانا منك وكرما

وعندما رأى شر الجوهرتين مالت نفسه الى أخذهما ولعب به الطمع فجعل يفكر برهة قائلا لخير اذا أخذت منك الآن هذين الحجرين فتي وصلنا غدا الى المدينة تسترجعهما مني فقال خير كلا اني اقسم لك اني لا أفكر بهما ولا آخذهما مطلقا بل هما حلال لك وقد سمحت بهما من كل قلبي وخاطري . فلم يقنع شر من كلامه وبقي مصرا على عناده ولم يسمح له بنقطة يبل بها لسانه

فبقي خير حزينا كئيبا يتألم ويتوجع وقد قال في نفسه ياليتني مت في بلدي ولا خرجت رفيقا مع هذا القليل الرحمة ماذا أعمل لو أرافقه لما وقعت في هذه البلية وبعد قليل شعر بمفارقة الحياة فوقع الي الارض ثم تمالك نفسه وقال لشر اني أموت الآن داعيا الله أن يوقعك بمصيبة أعظم من مصيبتي هذه لاجل جرعة من الماء تمنعها تتركني أموت ارحمني أعطني جرعة ماء واطلب مني مهما شئت فاعطيك

فاجاب شر اني أسمح لك بجرعة ماء على شرط أن تتركني أقلع لك عينيك وتعطيني الجوهرتين اللتين معك . فقال خير أواه منك أيها الظالم الغاشم ألا تخاف الله لقد من الله على بهاتين العينين وهما أعز ما على وأنت تريد ان تسلبهما مني فما فائدتك وما منفعتك . فاجاب شر بغير ذلك لا يمكني أن أناولك مرادا فلا تطمع بنقطة ماء الا بخروج عينيك لانك اذا أعطيتني الجوهرتين الآن ثم دخلنا بلدا ما تدعي على وتطالبني بهما ولكن اذا اقتلعت عينيك فلاتعود قادرا على ان تراني بعد ولاتعرف بمكاني فلا يتسني لك ارجاعها فيما بعد

فاعاد خير الالتماس والرجاء وقال لشر الرحمة يا أخي تذكر اني من وطنك وقد أطعمتك وسقيتك عدة أيام وانك مديوني بالمعروف فتكرم على بالماء ان لم يكن في مقابل ذلك فاكراما للوطنية والانسانية وبالحري اكراماً لله الذي خلقك وقادر عليك في كل وقت فان كنت لا تراعي لاذا ولا ذا فاعطني شربة ماء وخذ مني الجوهرتين فهما لايثمنان بمال وخذ ثيابي وكل ما معي من المال وخذ مني سندا على نفسي اني وهبتك كل أموالي وأمتعتي وملكي واقسم لك اني أهبك الكل ولا أعود فاطلبك واعف لي عن عيني واشتر حياتي . فهز شر كتفه ولم يتأثر ولا لان وقد قال له في الاخير عبثا تحاول الا بعينيك الآن لا يوجد عندي وقت فاما ان تدعني اخرجهما . اما ان اتركك واسير . ورأي خير ان لا فائدة بالرجاء والالتماس والتذلل وان خصمه شر لا يعرف الرحمة والشفقة وشعر بان روحه تتردد في صدره فصاح من الالم والدموع تتدفق من عينيه آه يا ظالم يا قليل الرحمة

الشفقة هلم خذ عيني واستأثر الاجزاء من عالقك هيا افعل في ماشئت وخذ ما تحب فقط عجل لي بشربة ماء افعل ما تطلبه اليك مروءتك وانسانيتك . فلم يتردد شر في العمل بل اخرج السكين من جيبه باسرع من البرق وتقدم منه وهو غائب عن الوجود لشدة عطشه وعظم ألمه ما بين يديه وما شعر الا ويد شر على عينيه فاخذ الياقوتتين منه ولم يعطه نقطة ماء بل تركه مكانه وصار يجري في تلك الصحراء كي لا يسمع صوته فيما بعد وفي عهده انه لا يلبث ان يموت بعد ساعة اوساعتين . ولم يكن هذا بالامر العظيم على شر الذي اعتاد على الشرور منذ نعومة اظفاره . فقد اكل زاد خير وشرب ماءه واخرج عينيه وسلبه جوهرتيه واخلف بوعده فلم يعطيه الماء بل تركه ليموت شر ميتة وسار عنه

اما خير مسكين فقد خسر عينيه وجوهرتيه ونقطة ماء لم يعط فغاب عن الوجود وبقي على الارض يلاقي العذاب والموت وبعد ان قطع الرجاء من الحياة (الله لا يري احدا هذه الحاله ولا يرمي انسانا رفيق كشر الخبيث الظالم) ولم يعد خير قادراً على الاتيان بحركة بل كان يأن ويصعد الزفرات والدم يسيل من عينيه على وجهه وثيابه يلين لحالته الحجر الصلد الا قلب شر الذي لا يمكن ان يوجد انسان قاس مثله في كل العالم حتى ولا بين البرابرة والوحوش الذين لا يعرفون الرحمة ولا يراعون الحرمة ولا تهمهم قوانين الانسانية والمدنية اذ قد اعتادوا على القتل والسلب والسبي وعندهم قتل الانسان كقتل اصغر الحشرات ولكنهم يحنون الى اخوانهم ولا يوقعون بابناء

قبيلتهم ولا يضرون برفقائهم مهما كانوا قساة ولكن الله جل جلاله العارف ما في الخطايا لايغفل ولا يناله ولايقعد عن نصرة المظلومين ولا على يبقى الظالمين

وبالتصادف ان على بعد ساعة من المكان الموجود فيه حبز قريه صغيرة لم يكن يعلم بها وقد خرج فى صباح ذلك اليوم من القرية بنت احد رعيانها وعمرها نحو خمسة عشر سنة والى جانبها اخوها يسوقان غنمهما الى المرعي في اطراف تلك الصحراء ولما تضاحى النهار ساقا الغنم الي عين ماء كانت وراء المكان الملقي فيه خبز بنحو ميلين فسقيا الغنم وجلسا عندها والغنم تسرح مقدار ثلاث ساعات . ثم ساقا الغنم وعادا الى جهة القرية في وقت الاصيل فجاءت طريقهما على خبز وقد سمعت الفتاة صوت أنينه وزفراته فوقفت الفتاة مستطلعة ثم مالت الى جهة الصوت وتقدمت بضع خطوات فرأت خبزا على تلك الحالة وقد تعفر بالتراب والدم يسيل من عينيه وهو فى حالة النزع فتأثر قلبها له وبكت لحالته وحملتها الشفقة على التقدم منه فسألته عن حالته وعن الذي اوصل اليه هذه البلايا ورماه بتلك المصائب

فلما سمع حبز صوت انسان بكى من شدة الالم وصاح الرحمة يا أصحاب الخير انى اموت الآن من قلة الماء والوحى تتردد في صدري ارحموني . اغيثوني . الحقوني بنقطة ماء اكراما لله ففى الحال عمدت الفتاة الى كوز ماء وصبت منه فى فم حبز . فلما شعر حبز بالماء نهض وجلس ثم اخذ الكوز بين يديه وجعل يشرب جرعة بعد أخرى ثم أرجع الكوز الي الفتاة وقال الحمد لله . ثم وقع الى الارض مغميا

عليه . فلما رأت حاله وصمت الكور على الارض ورمت رأس خير الي ركبتها وقد فهمت من حاله انه عرب ورأت عينيه يسيل الدماء منهما الى الارض وهو لا يزال في حالة الشبوبية فشفقت عليه . وبعد ساعة تقريبا عاد خير الي نفسه فرأى الفتاة تصب الماء على عينيه وتغسلهما بيدها ولما نظفتا ربطتهما بمنديلها وأنهضته على قدميه وقادته من يده الى اخيها وقالت لاخيها اني سأسبقكم الى البيت فابق انت مع ضيفنا ولا تتعبه بالمشي ثم أسرعت الى البيت وحكت القصة من أولها الى آخرها لوالدتها . فحين لـ كلامها قلب والدتها على غير ارادة وقالت لها مسكين اين ركنه ولماذا لم تبق معه و بقينا بانتظاره

اما ابن الراعي فانه بقي قابضا على يد خير يعوده شيئا فشيئا حتي وصلا الي البيت ولما دخلا من الباب خفت امرأة الراعي وبنتها لملاقاة خير وفرشا له فرشا ناعما تمدد عليه براحة . ولما رأت أم البنت خيراً في هذه الحالة لم تقدر أن تضبط نفسها من التأثر فبكت وجلست هي و بنتها عند رأسه وأخذت تتأوه وتتحسر عليه وتقول واحسرتاه عليه انه فتى وجميل فمن يا ترى عمل معه هذا العمل و بايدي أي ظالم وقع ألم يشفق على شبابه ألم يكن في قلب ذلك القاسي رحمة وكانت تعدد مثل هذه الالفاظ وتبكي كانه ابنها . والنتيجة أن تلك الوالدة بقيت نحوا من ساعه جالسة مع بنتها عند رأس خير تبكي علي حاله وتتوجع لمصابه ثم أسرعت فعملت له شرابا من عسل فسقته وأحضرت له الطعام فأطعمته

فأكل خير وشرب باشتهاء وكان قد ارتاح قليلا وتقوي بعد

الطعام فشعر بخسارة عينه وعظم مصابه وصار يندب حظه ويشكو من دهره ويسأل الله المساعدة والمعونة ولم يفتر دقيقة عن الاتكال عليه والشكر له

وفي المساء عاد الراعي الى منزله فرأى رجلا على خلاف العادة مريضا ملقى على فراش فى بيته تعتنى به زوجته و ابنته فتعجب من ذلك وسأل من هذا المريض وما الذى جاء به الى هنا . انه رجل غريب مظلوم فاني قد ذهبت فى هذا اليوم الى العين لاملا الكوز ماء وفيما أنا عائد الي البيت سمعت صوت تنهد وأنين فسرحت لارى فوقعت عيني على هذا الفقير المسكين ملقي على التراب يبكي ويستغيث ولما رأيته على هذه الحالة تأثرت كثيرا ولم أقدر ان أضبط نفسي عن البكاء ولو كنت أنت فى مكانى لما تأخرت عن مساعدته خصوصا وقد رأيته معفرا بالتراب والدم يسيل من عينيه ولما سألته عن حاله صاح مستغيثاً بي وقال لى انه يموت من العطش فسقيته . وبعد أن ارتوي نأوه ووقع الى الارض مغمياً عليه فزدت تأثيراً من حالته وجلست عنده أرش الماء على وجهه فغسلت عينيه ونظفتهما من الدماء والتراب . ولما عاد الى نفسه لم يطاوعني قلبي أن ابقيه يموت على حالته فأتيت به الى البيت

فلما سمع الراعي كلام ابنته تأثر أيضا زيادة عنها . وقال لها احسنت يا بنتي لان خدمة هكذا فقراء وغرباء لا تضيع عند الله . ثم تقدم حالا الي حير وسلم عليه وطيب بخاطره وسأله عن حاله وكان حير غير قادر علي فتح عينيه ولا على التكلم فعلم الراعي منه ذلك ففتح له عينيه بيديه ونظر داخلهما ثم قال لزوجته انظري ما في هذا المسكين كم ظالمه

وغدر به الظالمون فقد أخرجوا عينيه بالسكين ولكن الله سبحانه وتعالي لم يشأ أن يضره فان انسانيهما لم يصابا بضرر وأنا أقدر أن أنفعه وأفيده وأعيد نظره كما كان وذلك انه يوجد فى المحل الذي أرعي فيه شجرتا صندل قد التصقتا ببعضهما البعض فاذا أخذ من من أوراقهما كمية وسحقت وأخذ عصيرها وقطر منه في عينيه صباحا ومساء ففى خمسة أو ستة أيام يعود اليه نظره وكذلك اذا قطر منه في اذنيه يعود اليه سمعه لانه الآن لا يسمع لشدة ألمه

ولما سمعت الامرأة وابنتها كلام الراعي طارتا من شده الفرح وأخذتا فى تقبيل يديه وشكره وقالتا له ارحمه وساعده فان انقاذ هذا العمل الحميد منوط بك وألحا عليه بالالتماس والرجاء فأجاب اكراماً لعائلته وحبا بتخفيف أوجاع خير وآلامه ونهض في الحال وسار الى جهة الجبل فقطف باقة من أوراق شجر الصندل وأسرع بالرجوع الى بيته ودفع الاوراق الى بنته فأخذتها من يده ودقتها فى الحال بهاون مقمر وعصرتها وأخذت ماءها ودنت من خير وقطرت بعض نقط من ذلك العصير فى عينيه بيدها وهي تبكى لحالته . وكذلك خير فانه بقى يتألم ويتوجع من شدة التهاب القطرة فى عينيه وبعد ساعة سكن الالم وشعر براحة . وفى صباح اليوم التالى نهضت الفتاة وقطرت أيضاً بضع نقط من تلك القطرة فى عينى خير فلم يتهيج منه أنه كالاول . وبقيت الفتاة لمدة اسبوع تقطر لخير فى عينيه كل يوم مرتين وحينئذ راي خير جراح عينيه قد التأمت وبقى لها اثر بسيط ففتح عينيه قليلا وبدأ فى أن ينظر الى الدنيا ويميز ما بين يديه . والحاصل

أنه بعد عشرة ايام من وجوده في ذلك المكان ففتح عينيه جيدا وصار نظره صحيحا أ كثر من الاول وحينئذ غطت امرأة الراعي وبنته وجهيهما ولكنهما بقيا على خدمته ورعايته كالاول . وكانت الفتاة قد وقعت في حب خير على غير قصد منها وصارت تشعر بحكم الطبيعة بميل خصوصي لخدمته والتقرب منه ولذلك كانت تهتم شديد الاهتمام بكل خدمة ومصلحة تلحظ انه باحتياج منها . وكذلك خير فانه بعد أن فتح عينيه رأى نفسه مديونا بحياته وراحته لهذه الفتاة فأحبها محبة لا توصف واصبح عاشقا لها مغرماً بها خصوصا لما راى منها ميلا اليه واجتهاداً في خدمته وكان لم ير وجهها ولا استجلى محاسنها ولا راي جمالها بعينيه ولكنه ادرك بعين عقله . انها لابد ان تكون جميلة . وعليه كان كل منهما يخفي حبه وغرامه ولم يكن بينهما كلام اومعاشرة بل كانت دلائل الحب معروفة من بعضهما البعض بالاشارة والايماء . وكان خير ينهض في الصباح ويذهب مع الراعي لرعي الغنم وقد اهتم كثيرا واجتهد ليوقع حبه في قلب الراعي وكان في الصباح والمساء يقبل ايادي الراعي ويقول له انت ابي وانت السبب في ارجاع نظري فعيني الآن هما من عندك فالله يجازيك عني خيرا في الدنيا والآخرة وبكلامه هذا استجلب محبة الراعي وزوجته فتعلقا به با كثر من تعلقهما بابنتهما وكانا لا يرتاحان ان لم يكن حاضراً . وهكذا اصبح كل فريق من خير وعائلة الراعي مولعاً بحب الآخر مجتهداً براحته متلفتاً الى خدمته . وما محبة الفتاة فكانت تزيد وتتعاظم من يوم الى آخر ومحبة خير تنمو وتتجسم في قلب الراعي وصار

تسمح لي فقال ناهذا يعتبره كابن له ويعامله معاملة الوالد . ومن بعد أن مر عليهم بضعة أشهر على هذه الحالة جلسوا ذات ليلة مع بعضهم البعض الراعى وزوجته وابنته وفي أثناء الكلام والحديث قال الراعى لخير انى ممنون يا ولدى كثيرا من شفاء عينيك ومن رجوع نظرك اليك ولكننا لم كنا نعلم الاسباب التي جرت عليك هذه المصيبة الكبيرة وترانا في قلق من جراء ذلك فاخبرنا بقصتك وخلصنا من انشغال البال والقلق فلم يخف خير عنهم أمره وحكى لهم قصته من أولها الى آخرها وكيف أنه خرج من بلده لاجل السياحة فصادف شرا وكان لا يعرفه فى بلده فصار يطعمه من زاده ويسقيه من مائه . ولما فرغ زاده وماؤه أعرض عنه شر وأبى أن يعطيه نقطة ماء فى حالة نزعه وأخيرا طمعا بالجوهرتين اقتلع عينيه وأخذهما وسار ولم يسقه وبقي في حالة الموت حتى وصلت اليه بنته وخلصته . فتأثر الراعي وزوجته من قصة خير ولم يقدرا أن يضبطا نفسيهما عن البكاء وصارا يسئلان الويل والبلاء لشر وقد تعاظمت محبة خير عندهما وصارا يدعيان له بالسعادة وحسن المآل

الا أن خيرا كان فكره وقلبه عند بنت الراعى . فكان يقول في نفسه هل يا ترى يسعدنى الزمان وأنال وصال هذه الفتاة . كلا ، ما هى المناسبة بينى وبينها أيمكن أن يقع أمر مثل هذا لاني أنا بعنايتهم دخلت الى الحياة وأري نفسى مضطرا الان أكون خادمهم هم يعتبرونني كعبد رق فهل يمكن لهم أن يعطوني جوهرة

ثمينة كهذه . أواه يا ليتني كنت مت وأنا أعمى ولا رأت عيني هذه
الفتاة ولا عرفت صفاتها الملائكيه وأطوارها الحسنه فكل ما فيهـا
يعشق ويحب . وكان يفكر بهذه الافكار وقلبه يضرب بدقات الرجا
واليأس والغرام يقيمه ويقعده وقد غرق في بحران التفكر لايجـاد
طريقة تنوله بغيته وأخيرا قال في نفسه لا طريقة الا بان استأذن
الراعى بالخروج من هنا والذهاب الي لمدي . فاذا كان الراعى مسرورا
مني وراغباً في بقائي عنـده فلايتركني أسافر . واحتمل أن يعرض
على مصاهرته ومعى وأنال بغيتي من مالكة فؤادي واذا سمح
لي بالذهاب وتركني أسافر أسير الى بلدى حينئذ ومن المأمول أن محبة
الفتاة تبرد من فؤادي شيئا فشيئا لانى لاأقدر أن أقيم هنا ولاأقوى
على هذه الحالة الموجود فيها الآن وكلما رأيت هـذه البنية ارتجفت
وقلبي ملتهب بنـار هواها . عندما كنت بعبر ماء فى الطريق لجناية
شر أنه كان يخرج كور الماء أمام عيني ويشرب اني أقسم بالله ان هذا
التعطش هو أشد صعوبة ومرارة من ذاك التعطش لان ذاك التعطش
كان فداؤه الممن اماهذا التعطش فضحيته الروح والايمان وكل عزيز
في . ومن بعـد أن صرف نحوا من أسبوع على مثل هذه الافكار
عاد ذات مساء من البرية الى البيت وعلائم الكدر واشغال البال ظاهرة
على وجهه . ولما رأى الراعى حالة حيروما هو عليه من الحزن والملل
ارتبك في أمره وسأله ما بالك يا ولدي مهموماً . وباي شيء تفكر
فنهض اذ ذاك حـير من مكانه وقبل يدى الشـيخ وقال له اذا كنت

الامر تكلم ياولدي ولاتخف . وقال خير في الواقع أنك الآن ياسيدي تعاملني معاملة لا يمكن ان يعامل بها الاب ابنه وعيني قد وجدتا النور بواسطتك ولاأزال غارقا بنعمتك وحقي ان أبقى عمري خادماً لك وأعرف وأعترف ان ذلك لا يوفي جزءا من الحقوق التي لك علي لكن ما العمل فان أمراً مهما في سري يدفعني الى الاستئذان منك بالسفر الي بلدي ومع اني أرغب أن أبقى معكم طول العمر من وجه آخر أرى نفسي في أي مكان كنت فروحي وجسدي لكم ولهذا تراني متحيرا ومضطربا وخجولا منكم وعارف مقدار الجميل الذي لكم علي

فلما سمع الراعي كلام خير لم يقدر أن يضبط نفسه من البكاء وتقدم من خير وقبله في جبينه وقال له حفظك الله يا ولدي لقد احرقت لي فؤادي فانا لااريد ان اصرف عمري بدونك انا لااتركك واذا تركتك ماذا ياترى يحل بي فدع عنك هذه الافكار فجميع امتعتي وأموالي فهي لك وماعدا ذلك عندي أهبك أيضا ابنتي فاعطيك مقتني في جميعها واني فتكون لي صهرا وابنا فاستلم الجميع ودعني أنا أصرف باقي عمري تحت عنايتك. دع عنك هذا التصور اكراماً لله ولاتحرق قلبي فليس لي أولاد غيركم . فاخذ خير في أن يرتجف من كل التأدب والحياء وبعد أن أطرق برهة عاد ثانية فقبل أيدي الراعي وقال له يعلم الله يا سيدي انني لا اريد الانفصال عنكم بوقت من الاوقات ولا أقدر حتى يوم القيامة أن أنسى معروفكم وجميلكم والآن مادامت ارادتك أن ابقى هنا ولا ترخص لي بالسفر فسأبقى هنا وأقوم بخدمتكم باقي عمري وفوق طاقتي

فسر الراعي من كلام خير سرورا لامزيد عليه وفي اليوم الثاني عقد لبنته عليه وزوجه بها وصار اصهره من ذلك اليوم

وقد سر كل من خير وبنت الراعي سرورا لا مزيد عليه وتلذذا بوصال بعضهما البعض وكان خير يظن في نفسه أنه أكثر سعادة من زوجته لحصوله عليها وهي أيضا كانت تفكر أنها أكثر منه سعادة لحصولها عليه لان الحب كان يرى خير أنها مع ما هي عليه من الجمال والحسن الزاهر قد تخلقت باخلاق الملائكة ولما عليه من المعروف والجميل في شفائه وخدمته والاهتمام به ترفعت عليه وصار حصوله عليها من سعادته وكذلك الفتاة كانت قد رأت فيه من المزايا الحسان والآداب ولين الطباع ما لم تره في غيره من أبناء قريتها الذين كان لابد لها أن تقترن باحدهم ولذلك حسبت نفسها سعيدة فوق ماتؤمل وهذه الافكار كانت تزيد تعلقهما وحبهما لبعضهما البعض

ولما أصبح خير صهرا للراعي صار في النهار يخرج معه لرعي الخرفان والانعام وفي المساء يضم اليه زوجته وينام الى جنبها وكثيرا ما كانت الفتاة تخرج معهما الى البراري في وقت النهار فيتسلى بها وتتسلى به وهو مرتاح البال ساكن الخاطر خالي الهم . ففي ذات يوم بينما كان خير يتجول مع حميه لرعي المواشي في البرية صادفا شجرة الصندل التي كانت أوراقها سببا في فتح عينيه . واذ ذاك قال له الراعي هلك يا ولدي الشجرة التي أخذت من أوراقها وعالجت بها عينيك حتى شفيت ورجع النور لها وتلك الشجرة التي الى جانبها تفيد أوراقها للصمم فاذا أخذ منها وعصرت وقطر من عصيرها في آذان الاصم

شفي . فخف حينئذ خير الي الشجرتين وآخذ من كل منهما بعضاً من الورق وقد أخذ قطعتين من القماش فخطهما فى الحال كيسين وملأهما من أوراق الشجرتين . وقد قال فى نفسه ربما ذات يوم أحتاجها اما لى واما لمنفعة الغير . وعند المساء عاد مع عميه الى البيت وبات مع زوجته على الهناء والراحة

ومع ان خيراكان مسرورا من هذه العيشة السهلة الحسنة يشكر الدهر الذي أوصله الى بيت هذا الراعي يقطع الاوقات بهناء ولذة لاهم له الا الشكر من الراعي وزوجته . لكنه لما كان قد تربى وعاش في المدن ولما لم يكن في تلك الحصراء الواسعة والبراري الشاسعه سكان يتلهي بهم أخذ صدره فى أن ينقبض من الوحدة والانفرادشيئاً فشيئاًففى ذات ليلة بينما كان وزوجته نائمين في فراش واحد يتحادثان ويتسامران قال لزوجته ألا يوجد فى جوار هذه الصحراء مدينة كبيرة كباقى المدن . فاظهرت التعجب من كلامه وقالت له ما المعنى بذلك وماذا تقصد بقولك ألا يوجد بالقرب من هذه الصحراء مدينة . فقال اني لا أقصد شيئاً ولكنى أسألك هل ان المدينة تبعد كثيراًمن هنا . قالت كلالا تبعدالمدينةعن هنااًكثرمن ١٢ ساعةفقال لها بالفاظ التحبب أي رفيقةحياتى الامينة وحبيبتى الصادقة أليس الاحسن والاجدر بنا أن نذهب الى المدينة ونكترى لنا بيتاً فيها ونعيش عيشة أهل المدن وننخرط معهم فى حظوظهم ومسراتهم وتعتادين على المدينة والمساكن الحسنى ان هذا أوفق لنا من البقاء في هذه الصحراء لا نشاهد الا صخورا وأشجاراوغابات

وآكاماً . وبعد أن افتكرت الفتاة برهة قالت له نعم ياحبيبي لاريب في ان العيشة في المدينة انسب وأحسن لك لانك ربيت في المدن وتميت على العيشه فيها فتراها أحسن بكثير من عيشتنا هذه الحقيرة أما أنا فاني وان كنت أفضل العيشة في الصحراء والبهاء في هذا البيت على قصور الملوك لكن اكراماً لك وحباً لراحتك أترك هذا المكان وأسير معك الي المدينة وعليه فاننا في الصباح نتقدم نحن الاثنان بالرجاء الي أبي ونستأذنه بذلك . فسر منها خير ومدح من فهمها وحسن ادراكها . وفي صباح اليوم الثاني تقدم الاثنان من الراعي وأخبراه بما قررا بهما عليه في الليل وسألاه أن يجيب التماسهما ورجاءهما فاطرق الراعي برهه في الارض متفكرا ثم رفع رأسه وقال لخيراطمأن ياولدي فاني لا أرد لك طلباً ولا أمنعك مما تحب فاكراماً لك وانفاذا لارادتك أبيع غنمي وكل أمتعتي هنا وأسير معكما الى المدينة لقد صرفت معظم عمري في هذه البرية وسأصرف الباقي في المدينة لارى ما هو الفرق بين العيشة الهمجية والعيشة المدنية عسى يكون في ذلك راحة لي في اخر عمري فاموت قرير العين . لكن اذا كان ولا بد لنا من السكنى في المدن فلاوفق ان نقصد احدي المدن الكبيرة والعواصم العظيمة لاني ارى ان القرية مثل المدينة الصغيرة فاذا كنت تقبل كلامي وتسمع مني رأيي فسر الى حيث الى حيث اقول وهو انه على بعد عشرين يوماً من هنا مدينة تاج العظيمة فنقصدها ونسكن فيها مسلمين امرنا لله تعالى فرضي خير وزجته بذلك وشكر الراعي على قبوله بترك وطنه وسقط رأسه

وبيع املاكه ومقتنياته واللحاق بهما كي لا يفارقها . اما الراعي فلم يتأخر بل في الحال باع املاكه وغنمه وكل ماملكت يده لاهل قريته ودبر كل مايحتاج اليه في سفره . وبعد بضعة ايام خرج الجميع من القرية وساروا يقصدون مدينة بلخ حتى وصلوا اليها ودخلوها وطافوا في اسواقها ولما كان خير معتاداً على المدن ويعرف اصطلاحاتها بحث عن خان موافق استأجر فيه محلا لسكناهم وبعد يومين من وصولهم الي المدينة وجد خير بيتاً صغيراً فاستأجره ونقل اليه زوجته واباها وامها فسروا لذلك واستراحوا عدة ايام . ولما لم يكن الراعي معتاداً على المدن كان يندهش من كل مايرى وكان يذهب ويعود برفق خير على الدوام وكان خير يهتم بجلب احتياجات البيت ويحترم الراعي وعائلته كالاول ولم يهمل لهم امراً قط

ومر عليهم شهران في المدينة يصرفون الوقت على مثل ماتقدم وقد رأى الراعي وزوجته وبنته راحة السكنى في البلاد المعمورة وذاقوا لذة العيشة بين الناس فكانوا يشكرون خيراً على الدوام ويدعون له بالسعد والتوفيق

في ذات يوم خرج خير لكي يأتي البيت ببعض اشياء يحتاجونها وفيما هو يتمشى في الشارع سمع ضجة وضوضاء كان يوم القيامة قد قام ورأى الناس من كبيرهم الى صغيرهم يسرعون ويسيرون كالجيش . فتقدم من احد الناس وسأله عن السبب . فقال له انهم يسيرون للمناجاة على حسب العادة المعلومة . فزاد تعجب خير من ذلك وقال في نفسه ماالمعنى اني لا افهم شيئا فلاوفق ان اختلط بين الناس واسير

معهم فاعرف السبب وماهي المناجاة على حسب العادة المعلومة . فتبع الناس وسار برفقهم حتي خرجوا من المدينة وجاءوا الى محل واسع فالقى كل منهم عباءته عن اكتافه وكشفوا رؤسهم ووقفوا عراة ونظر ايضا ان جنود المدينة قد جاءت صفاً صفاًفكشفوا رؤسهم ووقفوا ومن بعدهم جاء الملك بكمال التواضع وكانت عيونه تذرف الدموع فيمسحها بمنديل في يده ووقف في وسط الجماعة . وبناء على امره جلس الجمع وبقي هو واقفا . وكان خير يتعجب من كل مايرى وقال يالله ماهذه الاحوال ماذا يعملون هؤلاء هنا . ثم رأى الجميع وقد اصمتوا وسكنت حركاتهم وصاروا كانهم صم بكم ولم يعد يسمع صوت قط وحينئذ رفع الملك صوته كانه يخاطب فقال اي رعاياي الامناء الذين ادخلهم الله في رعايتي وعلي الواجب على والمفروض على ذمتي من الاعتناء بهم والمحافظة على راحتهم انتم تعلمون اني ارتقيت سرير السلطنة وانا في الخامسة عشرة ولي الآن نحو ستين سنة حاكما عليكم واشكر الله اني صرفتها على العدالة والانصاف حتى لم ادع احداً يتشكى أو يتظلم مني بل كنت أرى بنفسي امور الرعية الخصوصية وأمور الدولة العمومية وادبرها على مايرضي الامة والذمة وينطبق على شرع العدالة الربانية ولم اغفل امراً ولا تغاضيت عن راحة احد وقد رجوت الله كثيراً بان ينعم علي بخلف يخلفني على هذه الحكومة فاعلمه طرق الحق وادربه على حب الرعية فلم تشأ ارادته ذلك . وفي مايوسا لهذه الغاية نعم ان الله لم يدعني بدون ولد بالكلية بل رزقني بنتاً حسناء فاعتنيت بتربيتها وتهذيبها مدة عشر سنين

وعلمتها جميع العلوم والفنون وقمت بحق الابوية المفروضة على وقلبها مسرور وقلبي فرح وأقول في نفسي سأترك للاهالى وللرعية وريثة أكثر مني ادراكا وأرفع علما وأميل لهم ولا قضت الارادة الالهيـة ولا أعلم بذلك أن تبلى ابنتى المسكينة بالصمم والعمي فلم تعد تسمع ولا تري فتقطع قلبي لذلك وضعف لذلك جسمي وعدت الي اليأس أكثر من الاول ومع ذلك فانا أعلم أن لا بد من حكمة لله فى هـذا نعم انى لم أجبركم ولا أتيت الى هنا بالرغم عليكم بل أتيتم من نفسكم دلالة على حسن رضاكم وسروركم مني وقد حملكم حبكم لي على الخروج مرتين فى الاسبوع الى هـذا المكان للدعاء والصلاة الى الله سبحانه وتعالي لاجـل شفاء ابنتي وهاانا الآن شهرين مداومين على الدعاء ولالتماس والطلب نتضرع و نتوسل اليه تعالي وقد أتينا الآن لهذه أيضاً فاسألكم بل أرجوكم أن ترفعوا أصواتكم بالتوسل للحكيم الشافى عن نيات صادقة وقلوب طاهرة عسي أن الله سبحانه وتعـالى يجيب توسلاتنا ويرحم قلوبنا المنـكسرة فيفتح عيني ابنتى وأذنيها فتعود الى ما كانت عليه قبـلا ولا بد أن لا كثركم بنونا وبنات فتعلمون مقـدار حبهم ومعزتهم وكم يكون الاب حزينا منفطر الفـؤاد عندما يكون أولادهم مصابين بالآلام والاوجاع

فلما سمعت الرعية كلام الملك الممزوج بالتأوه والتحسر واخراج التنهدات والزفرات مامنهم الا أن بكى وانجرح قلبه من كلامه ثم خرجوا جميعهم على وجوههم سجدا ورفعوا أصواتهم بالصـلاة والدعاء الى الله جل شأنه أن يرحم بنت الملك ويشفيها مما هي فيه من الصمم والعمي

كل هذا وخير يسمع ويري وقد أخذ في أذ يرتجف من رأسه الى قدمه وبقي متحيرا فى نفسه غارقا فى بحر الاوهام والافكار يقول فى ذاته سبحان الله كم هو عظيم وكريم ان حكمته قد قضت بذلك لخيري ومنفعتي . ماذا يا تري أعمل أأتقدم من الملك وأخبره باوراق خشب الصندل التى عندي أو لا أخبره بها . ولبث برهة يفتكر وقلبه يرتجف ثم قال فى نفسه يلزم أن أتاني وأصبر هذه الليلة وأراجع الامر بنفسي لان من تأنى نال ماتمني ومن عمل عملا بدون ترو وصبر خاف على عاقبته ودام على عزمه متعجباً من عمل القدر وحكمة الله الغريبة

وبعد أن بقيت تلك الجموع مدة ساعتين يبكون مع ملكهم ويتضرعون الي الله تعالى بقلوب حارة خاشعة رجعوا الى أماكنهم أما خير فرجع الى البيت متفكرا متغير الاحوال . لانه من الجهة الواحده كان يبشر نفسه بالسعادة والاقبال ومن الجهة الثانية كان يخاف من أن يجلب على نفسه الويل والهم ولذلك كان غارقا بين أمواج الحزن والسرور . ولما رأي الراعي وامرأته وابنته حالة خير وما هو عليه من الاضطراب وانشغال البال قلقوا ولا سيما زوجته . فقالت له العفو ياسيدي ماذا أصابك ولماذا أنت مصفر اللون مشتت الافكار فلم يجب قط بكلمة بل ذهب الى احدى الزوايا . وجلس . فزاد لذلك قلقهم وانشغال بالهم ولا سيما عند ما رأوه لا يتكلم فطافوا حواليه وقال له الراعي الرحمة يا ابنى لا تزد قلقنا أخبرنا ماذا طرأ عليك فى اليوم اجبنا اكراماً لله والا قتلت نفسي . وقالت له زوجة الراعى لماذا انت حزين لا تجاوبنا ياولدي وألحت عليه كثيرا حتى عاد اليه صوابه

فتبسم وقال ماذا جرى لم يجر على شيء دعوني الآن بحالى فزادوا عليه بالالحاح ولاسيما زوجته وأمها فقال لهم انى لما خرجت فى هذا اليوم من البيت وكنت أطوف فى الاسواق كان جميع الاهالى والمساكين حتى الملك نفسه خارجين الى البرية فذهبت معهم لنظر ما الخبر واذا بالملك قد انتصب على كرسى عال بكمال العظمة والجلال وخاطب الجميع بكلام مؤثر وذلك أن له بنتا مريضة وعمياء فسألهم ان يصلوا لله ويسألوه شفاءها . فلما سمعت أنا كلامه أردت أن أتقدم اليه وأعرض عليه أمر مدا واتها أن الصندل يشفيها فلم احسر فبقيت فى اضطراب وهذا هو السبب الذي أشغل بالى

فلما سمع الراعي هذا الكلام وحالما وقع فى أذنه اسم الملك أخذ في أن يرتجف وصاح العفو ياولدي حذار من أن تتعرض لمثل هذا أأنت مجنون لا تجلب الويل والشر لنفسك بيديك فماذا يعنيك من ذلك وربما لم يصر حسنا فكيف يمكنك أن تتخلص أى دخل لك بالملك . ثم أخذ الراعى في أن يبكي ويرتجف . فتبسم خير وقال في نفسه ان البدوية مزية فيه ماذا يعمل الملك هل يأكل الناس له الحق أن يخاف من ذكر اسم الملك لان الحضور بين يدى الملوك ليس بالامر السهل فان هيبتهم ووقارهم بخفيان الداخل عليهم . . .

ودام خير أياماً على ما تقدم الى أن كان ذات يوم شاهد الازدحام كاليوم الاول فاختلط بهم وصار معهم ولما وصلوا من المكان المعهود وقف في محله واذا بالملك كاليوم السابق قد علا الدكة وأعاد على الحضور نفس الكلام الذى ألقاه فى اليوم المتقدم ذكره ولكنه زاد

عليه قوله « وأنى أيها الشعب الامين الصادق مسرور منكم وممنون بسبب الثقلة التى تتحملونها لاجلي لجزاكم الله عني خيرا وأخبركم أني فى الليلة الماضية ظهرلى في الرؤيا أن دعانا استجاب أما فى هذا اليوم أو فى الغد وأن أذنى ابنتى وعينيها ستفتح بواسطة خير . فلما سمع خير أن السلطان يلفظ اسمه حيث قال ان أذنى ابنتى وعينيها ستفتح بواسطة خير لاح له أنه يقصد أنه سيجيء خير ويشفيها فصاح فى فى الحال من بين تلك الجموع نعم أيها الملك أنا هو خير وقد أتيت الى أعدك أطال الله بعمرك أن أشفي لك بنتك من صممها وعماها باذن العلي الحكيم فلما سمع السلطان والشعب الساجد الي الارض هذا الكلام التفتوا بوجوههم اليه وتعجبوا منه عندما رأوه شابا وجميلا وبناء على أمر السلطان احضر خير الي بين يديه ، فقال له السلطان ما اسمك أجاب لا برحت أيها الملك السعيد عائشاً بالعز والاجلال وزاد الله بعمرك وقدرك ان اسمى (خير) فاستبشر السلطان بالفوز والنجاح وقال له أهلا وسهلا ان شاء الله يكون قدومك علينا خير . لقد قلت الآن أنك تشفي أذني وعيني بنتي فكيف ذلك فاجابه خير بجراءة ممزوجة بالحيرة والخوف نعم ياسيدي انى فى مدة عشرة أيام اعيد بنتك أحسن مما كانت وأعدك بذلك وعدا صادقا

وبقى السلطان متحيرا من كلامه ولكنه قال له هلم لنر ان شاء الله يكون خيرا . ثم نهض الجميع وجاءوا الى المدينة فاخذ الملك خيرا معه الى قصره وعين له مكانا مخصوصاً ورتب له الخدم والحشم

الا أن الملك كان متعجباً من تصادف هكذا انسان بغتة ولذلك

كان يقول أصحيح ما يقوله أم كذب اني فى شبهة من كلامه . ولما لم يقدر أن يرتاح نهض من مكانه ودخل على خير . ولما شعر خير بقدوم الملك خاف من جهة وفرح من جهة أخري وتقدم لاستقباله بالخوف والفرح ولما صارقريبا من السلطان دعا له وأثني على عنايته به وقبله فى اذياله فاخذه الملك من يده وقبله فى جبينه ودخل الغرفة التي اعدت لخير فجلس وبقي خير واقفا بين يديه بكمال الوقار والاحتشام الا ان السلطان الح عليه بالجلوس فجلس تجاهه . وبعد ان أظهر له مزيد الاعتناء والاكرام وهش فى وجهة وأبدى له كل مؤانسة ولطف وترحاب سأله عن بلده . فاجابه خير انى من البلد الفلانى من أحقر سكانها وقد أوصلني القضاء والقدر الى هذه العاصمة لكن باذن الله تعالى سأعيد على ابنتك سمعها ونظرها فتصبح أحسن ممـا كانت والعلاج موجود معي فكن براحة ولا يشغل بالك أمر ولا ترتب بحكمة الله تعالى فانى بمساعدته وعنايته أشفى عينى بنتك وأذنيها وليس على الله أمر عسير.

فزاد فرح الملك لهذه البشري ولم تعد الدنيا تسعه ولم يعد يعرف ماذا يعمل لعظم فرحه وسروره ولذلك كان يتردد وهو يكاد لا يصدق ما يسمع يقول في نفسه أصحيح يا ترى أم كذب

ومن ثم أحضر الطعام فجلس الملك وخير على المائدة وأخذا بمناولة الطعام وكان العرق يتصبب من جبين خير لشدة خجله ولم يكن يرفع نظره الي وجه الملك بل كان لسانه لا يفتر من الدعاء للملك والشكر . وهذا زاد الملك فيه محبة واليه ميلا

وأما الراعى وعائلته لما رأوا أن المساء قد أقبل ولم يعد خير شعروا ان الدنيا بعافيها انطبقت عليهم وصاروا يبكون وينوحون ويقولون ماذا طرأ عليه ولماذا لم يعد وما هي المصيبة التي منعته عن الرجوع الى البيت . وقال الراعى أخاف أن يكون الجهل والطيش قد حملاه على الذهاب الى الملك وقد رغب باحراق نفسه بيده ولم يلتفت الى نصائحي ولا اعتبر باقوال الحكماء الذين حذروا من معاشرة الملوك والتقرب منهم ان من أكبر الآفات التقرب من الملك وقد قال لقمان الحكيم ان السلطان يغضب غضب الولد الصغير وينتقم انتقام الاسد الكبير ولهذا اقول انه رمي نفسه الى التهلكة بيده ان الحق كله علي لانى أطمعته فى المجيء الى هذا المكان فياليتنا بقينا جميعنا في الصحراء سالمين مرتاحين الافكار ولا اتينا الي محل الاشغال البال والقلق والهلاك . وبقيوا فى هم ونكد صابرين على حكم القدر يعلقون آمالهم برجوع خير اليوم بعد اليوم

ولنعد الى خير فانه بعد المساء تناول الطعام وصلى ثم نهض ... الملك ودخلا غرفة ... فيها وكان خير ... زيارته فقد شاهد كل هذا الاعزاز والاكرام والاحترام اضطر الى مشاهدة ... اذا يجري ... يتحقق وتبين للملك انه ضحك عليه واستهزأ ... ذلم ... ولا حكيما ولذلك صار يناجى الله في نفسه قائلا الرحمة يا الهي ... ولا تتخلى عني فكما انك شفيت ... وارحمني ... اكثر مما كنت سابقا احمل ... هذه الفتاة على يدي ولا ... باحب ... ثم ان ... روعه قليلا ... سليم

امره الله فسأل الملك ان يؤتى اليه بهاون فمر الخدم فاحضروا له طلبه فاخرج من جيبه اوراق شجرة الصندل التي كان احدها منها كما تقدم معنا وقال للملك كن براحة ياسيدي فان الله قد ارسلني الى هذه المدينة لاكون واسطة لشفاء ابنتك . وبعد ان سحق الاوراق بالهاون واحدة فواحدة عاد فعصرها ايضا واحدة فواحدة وأخرج ماءها وأمر أن يؤتى له برحاحة وصب العصير فيها وأخيرا صب بعض نقط من العصير في آذان الفتاة وفي عينيها وربط أذنيها وعينيها . ومنذ وضع الماء في عينيها شعرت براحة وتسكين في الوجع ونامت تلك الليلة بهدو وراحة حتى الصباح . وعند الصباح دخل عليها خير أيضا وسألها عن حالها فاخبرته براحتها ففرح نوعا ونقط لها من العصير في أذنيها وعينيها كما فعل بالاول وربطها وعاد الى المكان الذي أعد له . وبقي على هذا المنوال يداوي بنت الملك بذاك العصير في كل صباح ومساء حتى مر عاية عشرة أيام وحينئذ . . . الى عينيها فصارت تنظر وتسمع وقد رأت كل ما حولها وشاهدت أباها وامها . . . و شدة فرحها لم تعد قادرة على الكلام فرمت نفسها عليه تقبله . ولم يقدر الاب ان يضبط نفسه عن البكاء العظيم لما لحقه من السرور الذي لا يقدر ولا يوصف . فضم بنته الى صدره وجعل يقبلها ودموع الفرح تتساقط من عينيهما وهما يشكران الله على هذه النعمة . وبعد مرور ساعة على هذه الحالة ترك الملك بنته وضم خيرا الى صدره وقال انى أشكر الله يا ولدي كثيرا حيث أرسلك لي . . . من البلايا والاوجاع . . .

أنصبت عليها وما ذلك الا لان الله راض عنك راغب فيك مساعد لك ولا أغلط اذا قلت انك من رجال الله المختارين لان عملك هذا معجزة فلا انسى لك هذا الجميل ما دمت حياً وارى نفسي موقوعاً بالطامات الحية الى مكافأتك على جميلك اعظم مكافأة اقدر عليها لما دمت قد دخلت بيتي واكلت معي على مائدتي كأحد اولادي وشاهدت بنتي ومددت يدك اليها ولم يعد شيء مخبأ او محجوب عنك فصار من اللازم ان أزفك عليها واجعلك صهرا لي وحاكما في بلادي تسوس مملكتي وتديرها لان الله معك وانا احببتك ولم أعد قادرا على مفارقتك . وبما اني صرت شيخا واحب ان انزوي الي عبادة الله واصرف باقي عمري براحة وسكينة اسلمك زمام الاحكام واعهد اليك بتدبير الرعية منذ الآن . وهذه نعمة كبري قد منحني اياها الله سبحانه وتعالى لاني كنت بهم زائد وانشغال عظيم انام مكدرا وأقوم حزينا على بلادي ورعيتي لا اعرف لمن اتركها من بعدي ففي وقت واحد فرج الله عني اذ ارسلك الي فشفيت ابنتي ووجدت لي صهرا موافقا لها وزال عني الهم والغم حيث وجدتك كفوءا للملك وقادرا على أدارته فاسمك خير وعملك خير وكله خير بخير فألف شكر لله على هذه النعمة

فلما سمع خير كلام الملك أطرق رأسه الى الارض من الحياء والعرق يتصبب من جبينه . غير ان الملك لم يهمه هذا الامر فقط بل امر في الحال باقامة الافراح وان تزين المدينة ويعم الفرح سكانها كبيرا كان او صغيرا وكان الاهالي لما سمعوا ان بنت الملك قد ملكت صحتها ونالت الشفاء

تماما سرورا لا مزيد عليه وزاد سرورهم عند سماعهم بخبر زفافها الحكيم الذي أرسله الله لشفائها فاسرعوا الى أقامة الزين وتنوير الشوارع والاسواق وتعليق الاقشة والاعلام وقد اهتموا بعمل الافراح مدة سبعة أيام وسبعة ليالي بتمامها غارقين بالغناء والرقص وعمل الولائم واطعام الفقراء والمساكين

وفي ظرف تلك المدة كان الراعي وأهل بيته قد طارت عقولهم من رؤسهم لا يذوقون طعم الراحة لا ليلا ولا نهارا وكل بكائهم وحسراتهم على خير وبعد عشرة أيام من غياب خير رأوا المدينة قد زينت وأقيمت فيها الافراح فسأل الراعي البعض من الناس عن سبب ذلك فقال له ان رجلا اسمه خير جاء المدينة وداوي بنت ملكنا فشفاها من العمي والصمم فالافراح لهذه الغاية . فلما سمع الراعى ذلك طار قلبه من الفرح وأصبح كالجنون وخف الى بيته فاخبرهم بما سمع عن خير وطمنهم عنه فسروا جميعهم على هذه البشري وخروا الله وباتوا ينتظرون عودة خير محفوفا بانعامات الملك حائزاً على رضائه والتفاته

ومن بعد نهاية أيام الافراح السبعة أمر الملك بان يعقد لبنته على خير وقد عين لهما أجمل قصر عنده وفرشه بابهى فرش وأهداها الجواهر النفيسة والاموال العزيزة وقدم لبنته من الحلى الغالية ما استغرق خزينته برمتها لانه كان يحبها محبة لا توصف ولعظم فرحه لم يعد يعقل أو يعرف ماذا يفعل

ولما رأى خير نفسه فى هذه الحال وشاهد تلك النعمة والاجلال والابهة والكمال شكر الله شكرا عظيما وسر من حسن طالعه وجمال بخته وقد حصل على مرامه ومقصوده من وصال بنت الملك وأصبح صهراً شرعياً له وحينئذ أرسل رجلا بالخفاء فاحضر الراعى مع عائلته ونقلهم الى قصر عال جميل وعين لهم الخدم والحشم ومن بعد مرور بضعة أيام جلس لوحده فى غرفة منفردة وأرسل رسولا لاحضار الراعي اليه فظن الراعى أنه سائر للوقوف أمام الملك فصار يرتجف كالغصن عند اشتداد الريح من الخوف والوجل ولكنه كان متحيرا عند دخوله القصر من التجملات والملاطفات التى كان يلاقيها فى طريقه الى حين دخوله على خير . ولما دخل الغرفة نظر الي ما فيها باندهاش وتعجب وقد رأى فى الوسط خيراً جالساً على تخت مرصع منصوب في الوسط فلم يعرفه لشدة الخوف والاندهاش بل ظنه السلطان فخر ساجداً وقبل الارض بين يديه فنزل خير عن السرير وقبض على يد الراعي فوجدها باردة كالثلج وهي ترتجف كالدولاب البرقي فخاف أن يلحق به أذى فقال له ياوالدي العزيز تضطرب وترتجف ألم تعرفنى وهل نسيتنى فى ظرف بضعة ايام . فلما سمع صوت خير أحدق فيه وقد عاد اليه وعيه فعرفه وصاح من شدة الفرح ولف يديه على عنقه وصار يقبله كمن ضاع له ولد وحيد فلقيه بعد زمان طويل . فاخذ يد خير وقبلها وقال له بحياء وخجل اعلم يا أبى وسيدي أن هذه النعمة الحاصل عليها والسلطنة القابض على زمامها هى من فضلك وجميلك فالمرجع فى كل ذلك لك وأنا أشكر الله على هذه النعمة والسعادة

الحاصل عليها لكنها لم تكن لتنسيني اياك أو تنسيني فضلك ومعروفك على فمن اللازم أن تشاطرني في حظي وسعادتي وتتنعم بهذه النعم بعد أن لاقيت من مشاق هذه الدنيا وأتعابها ما استغرق كل عمرك تقريباً وشكر الراعي الله على ذلك وشكر خيراً ثم جلسا يتباحثان ويتحادثان والراعي يظن نفسه في حلم ومن وقت الى آخر يلتفت الى ما حواليه مندهشاً ومأخوذاً بتلك الزخارف الملكية . وبعد أن مر عليهما ساعة تقريباً وهم على ما سبق قال خير للراعي اعلم ياسيدي أن وقتنا الآن لايشبه أوقاتنا السالفة فالله سبحانه وتعالى هو المغير والمبدل في أحوال الناس ومراتبها فالرجل الذي تراه اليوم فقيراً لا يبعد أن تراه غداً غنياً والغني اليوم قد يمكن أن يصبح فقيراً فكم من ملوك حطت عن عروشها وكم من رجال كانت منحطة فرفعت على العروش بامره تعالى فلا يعلم أحد منتهى حكمته ولا يدرك سر غايته فها أنا الآن قد أصبحت صهراً الملك بلخ وحيث أن لا ولد ذكر للملك فاليوم أو غداً أجلس مكانه على تخت المملكة أي أنني صرت ملكا على مدينة بلخ ومهما كانت السلطنة عظيمة فهي معلومة والمراد من كلامي هو أن الانسان في أي حالة كان يلزمه أن يحسن تلك الحالة ومن أية طائفة أو قبيلة كان يلزم أن يتخلق باخلاق تلك الامة والقبيلة ومهما كان مسلكه فينبغي أن لا ينفصل عنه والحاصل ربما تظن من ظاهر حالي أني أنسى من أنا أو أتغاضي عن واجباتي مع أني لا يمكن قط ان أنسى أحوالي السابقة فكل ما يلوح في خواطرنا هو من صنائع الله وبعد كلفك أنت لشفائي وجعلك وسيلة لايصالي من العلاج الذي

بواسطته شفيت بنت الملك حتى تسنى لى أن أصير ملكا وكلفني أن أنتشلك من تلك البرية الموحشة التي كنت عايشا فيها منفردا كوحوش البرية وأجيء بك الى عالم الراحة وحاشا لله أن يتخلى عن رجال الحسنات والخيرات وليس المرء باكرم منه وعليه فقد عينت لك قصرا مخصوصا وأعددت لك أسباب الهناء والمعيشة الصالحة فاقم فيه الآن انما عليك بالصبر بضعة أيام لارى ماذا يكون من أمر الملك وفى أى وقت يسلموني العرش وليس لي عندك الاوصية واحدة وهى أن تحفظ زوجتي بنتك لانها فى أول حرمى وتهتم براحتها وهنائها وخدمتها واخبرها ان لا يشغل بالها ولا تقلق لهذا الامر وان شاء الله قريبا نتقابل . وبعد ذلك صرف خير الراعي ليرجع الى بيته ودخل هو الى حرمه وكان يقضي اوقاته معها بالحظ والانشراح وكانت بنت الملك منذ فتحت عينها ونظرت خيرا لم يعد يطمئن لها قلب ولا يرتاح لها خاطر الا بقربه وقد أحبته محبة زائدة وعلقت به ولم تطق فراقه فكان يهتم بما فيه سرورها وراحتها وكذلك كان يسعى لارضاء الملك فكان يرى مصالح العباد بالعدل والانصاف ويساعد الفقير أكثر من الغنى ويجبر بخاطر الضعيف والمنكسر ويعظ الناس على ترك الشر واتباع الخير ومحبة بعضهم بعضا لانهم أخوة في الوطنية والآدمية ولذلك احبه الكبير والصغير ومال اليه الغني والفقير والامير والحقير

اما الراعي عند ما رجع الى بيته لاقته زوجته وبنته الى خارج وسألاه عن احوال خير فحكى لهم قصته من اولها الى آخرها فاظهرتا

الفرح والمسرة على ارتياحه وعلو مقامه أما الفتاة بنت الراعي وان كانت اظهرت سرورا أكثر من الجميع لكن وقع على قلبها من الحزن الناتج عن الغيرة الشديدة التي تلحق جميع النساء الضوائر . وانتظرت النهاية بفروغ صبر لترى زوجها وتسير اليه وهي تخاف أن ينساها ويلتهي بزوجته الجديدة عنها ولا يعود يفكر بها وبعد مرور شهرين على ذلك وهم يرتعون في نعمة المملكة يرسل اليهم كل ما يحتاجونه أرسل خير خلف الراعي ثانية واحتفل به كثيرا وأظهر له منتهى الرعاية والعناية . وأبان له أن من اللازم أن يوجد معه في ديوانه وعلى حجابه . ثم في الساعة نفسها ألبس جماعة من شبان المدينة ألبسة الفرسان وأمر ان يؤتي بالثياب الفاخرة النفيسة خلعها على الراعي وأقامه رئيساً للحجاب وقائداً عاماً على جنود المملكة . ثم دخل به على الملك وقال له ان هذا الرجل هو من الشجعان النادري المثال وله فضل على عظيم فاردت ان أكافئه فاقمته على الجيوش قائداً عاماً ولذلك أسألك ان تقبله في هذه الخدمة وتصدق على عملي هذا فالملك اكراماً لخاطر صهره قال له افعل ياولدي ماتراه حسنا وموافقاً لصالح البلاد والعباد فاني لا أرد لك أمرا ولا أخالف لك عملا فسر خير من كلام حميه وقبل يده وكذلك الراعي ودعا له ولدولته وسار الى بيته وحكى لعائلته كل ما تم له فسروا لذلك سروراً لا مزيد وأملوا في خير خيراً زائداً لهم

والنتيجة كي لا نشغل القراء نقول انه مامر على زواج خير اكثر من سنه ونصف حتى قضى الله سبحانه وتعالى بوفاة ملك بابخ حمي

خير فاستقل خير في الملك وصار الآمر الناهي فى العباد لا معارض ولا مراقب فاجتهد أكثر من الاول فى تنظيم أحوال المملكة وترقية جنديتها ورفاه الرعية وكل ما من شأنه أن يزيد محبة الاهالي له ومع كل ذلك لم ينس أحواله الماضية فقد خطر على باله ذات يوم ما مر عليه من المصائب فشكر الله وقال فى نفسه صدق من قال ان من يعمل خيراً في هذه الدنيا يرى خيراً ومن يعمل شراً يلاقى مثله فياليتني أصادف مرة ثانية رفيقى (شراً) فيري ما أنا عليه من الجاه والعظمة والملك فلا ريب ان الحسد والغيظ يميتانه . وكان كلما رأى خير محبة الناس له وميلهم اليه يفرح ويسر ويزيد نشاطاً واقداماً . وقد نقل الى دائرة مخصوصة في قصره الراعى وبنته وباقي عائلته فكانو يصرفون أوقاتهم على السرور والهناء والفرح لا يصدقون بالحالة الموجودين فيها وكلما جلس خير على كرسي الاحكام جلس أمامه الراعي كمستشار ومساعد له وهذا أيضاً كان يسر الراعي ويزيده حبورا لانه عند ما يقيس بين حالته الحاضرة وبين حالته الماضية وهو فى البراري يقاسي شدة حرارة الشمس وصبارة البرد لا يصدق أنه فى يقظة ولهذا كان دأب خير والراعي وعائلته الصلاة والشكر لله على أنعامه ورحمته

وهكذا كان خير كلما تقدمت الايام زاد اهتماماً فى تدبير المملكة والعدل بين الرعية لا يعمل الا على مقتضى الشريعة . وقد أخذ بتعمير المدن الكائنة تحت تصرفه وفى ظرف مدة قصيرة انتشر صيته عند الحكام والملوك حتى أنهم حسدوه على عدله وعمران بلاده وحب رعيته له . وكان قد أنشأ فى ضاحية المدينة حديقة غناء لانزهة

وراحــة الاهلـين فـكان يذهب اليها في كل أسـبوع مرة أى في كل سـتة أيام يوماً يستدعي الوزراء ويبقى معهم في الحـديقة الى المساء يصرفون الوقت ما بين المخابرة باحتياج الرعية والاسباب اللازمة حالة المتوطنين والحـكام ومن منهم لائقا فيستحق المكافأة ومن منهم غير لائق فطرد بين الصفا والانس وعنـد المساء يعود الى قصره . وكان كالاول يحترم زوجته بنت الراعي ويحبها ويتجنب كل مايكدر بخاطرها فيذهب ليلة اليها وليلة الى بنت الملك وعلى هذه الحالة كانت تمر معه الايام والليالي الى أن كان ذات يوم نهض عند الصباح فركب جوادا كريما وعليه عدة مزركشة بالذهب وسار الى جهة الحـديقة والى يمينـه رئيس الوزراء وبين يديه الموكب الملوكي يسـير بنظام وانتظام

وقد صف على الطرقات التى فى جهة اليمين الجنود لاجـل السلام كذلك الاهالي فقد أقفلوا دكاكينهم كجاري العادة عند ذهاب الملك الى الحـديقة ووقفوا خلف الجنـد صفوفا صفوفا منتظرين مرور ملكهم الى أن أقبل بالابهة والعظمة والي جانبه رئيس الوزراء ومن خلفه الراعي رافعا سلاحه ورافعه بيده وهو كانه الاسد لانه كان قوي الجسم متين العضلات لايقدر أحد فى كل مدينة بلخ ان يصرعه وكان الحجـاب صفوفا صفوفا يتقدمون الملك ويتأخرونه واثنـان منهم يسيران الي جانبه . وفيما هو سائر كان يتمهل ناظراً فى الاهالى والجنود مسلماً عليهم باشاً فى وجوههم وهم يجيبونه باصوات الدعاء والشكر وبينما هو على مثل ذلك واذا به وقعت عينه على شر رفيقه

القديم فاصابه من جراه وقوع نظره عليه رعشة وارتجاف خفيف في جسمه فتقرب منه قريباً وأمر الحاجبين الذين يسيران الى جانبه أن يأتيا به متى وصلوا الى الحديقة وأشار لهما بيده عليه فقبضا عليه في الحال وساقاه بينهما وهما متحيران من ذلك لا يعلمان السبب الذي حمل الملك بالقبض عليه وقد ظنا أنه تظاهر بما أغاظ الملك

ولما وصل خير الى باب الحديقة نزل عن جواده ودخلها بالابهة والاجلال وتقدم الى السرير المخصوص لجلوسه فجلس عليه وجلس رئيس الوزراء ورفاقه كل واحد في مرتبته ولبثوا منتظرين أمر الملك وكذلك الراعي فانه جلس خلف الملك والسيف مشهر في يده وعيناه لا تفارقه . وحينئذ أمر خير بان يؤتي لبين يديه بالرجل الذي قبض عليه . وفي الحال قدم شر اليه ووقف ذليلا حقيراً ولم يكن يعلم انه رفيقه خير ولشدة خوفه لم يتمكن من الامعان في وجهه ولا تجرأ على النظر اليه لكنه كان يرتجف كاوراق الشجر اذا هزها الريح وهو يسأل نفسه ماذا يا تري عملت وما هو ذنبي . واذ ذاك التفت خير الي شر وسأله مستنطقاً اياه

خ . ما اسمك

ش . أطال الله بعمر سيدي الملك وبلغه سعادة الدارين ان اسمي مبشر

خ . (متبسما) هذا ليس هو الصحيح فتكلم بالحق فهو أفضل لك

ش . (بارتجاف واضطراب) معاذ الله ان عبدكم لم يقل الكذب زمانه بطوله وكل من يعرفني يعلم أن اسمي «بشر»

خ ١. (بحدة) حذار أيها الخبيث ان الكذب بحضور الملوك أمر عظيم أتظن أن الكذب ينجيك من عاقبة غدرك وشرورك

ش . (باضطراب زائد وخوف عظيم) العفو ياسيدي ان شئت تقتلني وان تبقى على فالامر لك أما أنا فاني لم أتكلم بالكذب قط وما قلته هو الصحيح

خ . (زاجراً اياه بتحرق وغضب) تكذب وتقول أنك لا تكذب كي لا يقال انك صدقت مرة الم يكن اسمك شر الخبيث الست الذي قلعت عيني رفيقك خير ولم تعطه الماء وأخذت منه الياقوتتين وتركته في حالة النزع ولم تشفق عليه . ألست انت فاعل كل هذه الشرور

فلما سمع شر من الملك هذا الكلام أخذت ركبتاه في أن ترتجف ولم تعدا قادرتين على حمله فوقع الى الارض . ثم تجلد ونهض وأحدق وجه الملك فعرفه أنه رفيقه خير فتقوى قلبه نوعاً املاً بسلامة قلب خير ودنا من التخت وقبل أطرافه وقال له بالحقيقة يا مولاي انى أنا شر لكن لي حديث ان أمرت عرضته لديكم وبعد ذلك مروا بما تريدون اما بجزاء القتل أو العفو فالامر لكم

فقال قل ماتشاء لارى ما هو حديثك . قال معلوم عظمتكم أن القضاء والقدر قد حتما بان يكون اسمكم خير واسم عبدكم شر ولاجل ذلك فعلت الشر معكم طبقاً لاسمي أما الآن فلابد أن تعملوا معي خيرا

طبقاً لاسمكم وهكذا قضاء الله أن تكون صفات كل منا كاسمه

فلما سمع خير كلام شر تحركت الرحمة فى قلبه فقال له هيا فاذهب فقد عفوت عنك ولم أعاملك بما تستحق جزاء شرك . وحالما سمع شر كلمة عفو من الملك طار قلبه شعاعاً فقبل أذيال الملك وانسحب من حضرته غير مصدق بالنجاه وما غاب عن العيان حتى خرج الراعي فى اثره ولما أدركه صاح به آه يا خبيث مادام اسمك شر فشراً تلاقى وضربه بالسيف الذي بيده عن قلب مقروح ففصل رأسه عن جسمه ثم فتش فى جيبه فوجد الياقوتتين اللتين أخذهما من خير لجفاء منه وطرحهما أمام الملك وقال له ان كنت قد عفوت عن شر لسلامة قلبك فلم أعف عنه أنا خوفاً من ان يوصل شره اليك فموته أفضل من بقائه . واذ ذاك أخذ خير الجوهرتين في يديه فاحدق بهما وقد تذكر كل ما جرى عليه وشعر بالآلام التى تألمها من شر فاستصوب عمل الراعى ولذلك قال له يا أبي ان عينى الاثنتين هم منك فاذا شئت اقبل منى هاتين الجوهرتين هدية فى مقابل معروفك معى لان عينى أغلى منهما فشكره الراعي وقبلهما تذكاراً مقدساً وصرف خير باقى عمره فى السلطنة وبعد نصف سنة تقريبا ركب وركب معه نحو خمسمائة فارس من فرسانه الاشداء وسار الى شجرة الصندل التى أخذ أوراقها فجلس تحتها مدة مستظلا بظلها ملاقيا أعظم راحة ولذة ثم خاطبها قائلا أيتها الشجرة المباركة أنت الباعث لسعادتى وهنائي فاق نور عينى منك وبك عدت فنظرت هذه الدنيا وأنت التى أعدت بصر بنت الملك ووهبتها الراحة بعد العناء والاوجاع أنت التي أوصلتنى

الى درجة الملوك فتزوجت بنت الملك وعلوت على عرش السلطنة وانقادت لامرى البلاد والعباد فزادك الله بركة وأطال بعمرك وزاد نعمك فى العالم . ثم أمر أن يبنى قصر حول الشجرة وصار يأتى اليه المرة بعد الثانية معترفا بجميل أشجار الصندل المباركة

ولما وصلت السيدة قمرشاه قالت أدامك الله ياحبيبى ونورعينى وساكن فؤادى أن خيرا بواسطة أشجار الصندل رجع البصر الى عينيه وصار ملكا وفى الواقع أن شجر الصندل محبوب جداً ولونه يسر الانسان ويشرح له صدره وهو بالحقيقه لون جميل يمتاز علي غيره من الالوان

ولما وصلت من حكايتها الي آخرها فشكرها الجميع وقام الهمام وهو غائص في بحرمن التعجب وقام وبعد أن سكت استأذن الوزير وسار الى المحل المعد لاقامته ثم استأذن الجميع وساروا وأما ورد شاه أخذت الهمام من يده ودخلت الى غرفة النوم وصرف ليلته معها على الحظ والسرور حتى وصل الى غرفة النوم وبعد أن نام عدة ساعات نهض من النوم فوجدها قائمة عندرأسه بانتظارها فقام وقبلها في عنقها وخديها ولما انتهى من استصباحه بها سارت به الى الحمام فنزعت عنه ثيابه وأخذت في أن تغسله بيديها وترش عليه العطورات الزكية والمياه المقطرة من أزكى الازهار وكانت قدهيأت له ثوباً أخضر بلون الزمرد فأخذت فى أن تفرغه عليه وهي تمازحه وتقبله وتباسطه وكان الهمام مسروراً جداً ثم انه ودع زوجته وردشاه وخرج وسار الى محل حكمه ولما انتهى اليوم قام وسار الى القصر حتى وصلوا وهم محفوفين بالاتباع والخدم وعند دخولهم وجدوا الملكة واخوتها بانتظارهم

عندالفسقية حيث كانت معدة بكل مايلزم من كراسى وأسرة وأكل وشرب وزينة وروائح حتى من بها يظن أنه كان يرى من نفسه أنه في الجنان محاطا بالحور الحسان وبعد ان أكلوا ماطاب وشربوا مالذ لهم قامت بستان شاه ودعت الملك الهام وقال اذا سمح لي الملك بأن أقص عليه قصة فقام الهام وشكرها وقال اذا سمحت بأن تنتهى ليلتنا بعذوبة لفظك بفصاحة لسانك فنكون لك من الشاكرين فأثنت عليه وجلست وابتدأت تقول

حكاية الوزير وابنه قبيح المنظر

يحكى انه كان فى قديم الزمان عند احد ملوك خراسان وزير فاضل اسمه عز الدين وكان هذا الوزير من ذوى العقول الفريدة خبيرا بأحوال المملكة ومحبا للرعيه فرزقه الله ولدا قبيح المنظر شنيع الصوره ومن كان ينظره مرةواحدة كان يجتذب ان يراه مره ثانية

وفضلا عن ذلك فانه كان غليظ الطباع جبارا عنيدا لا يقدر على مصاحبته احد من البشر ولكن حيث انه كان وحيد ابيه كان ابوه يحبه حبا شديدا ولم يكن يشمئز من صورته الكريهه وقد قيل كل فتاة بابيها معجبه وعليه فلم يكن ابوه يستحي به امام الناس بل كان يفتخر به حتى ذهب الراوون الى ان ما من اب احب ابنه كما احب هذا الوزير ولده

ولما بلغ هذا الولد من الرجال اخذ ابوه يهتم في تزويجه وشرع من ثم يبحث له عن ابنته بديعة الجمال حميدة الخصال فوافق الله مسماه

راتاه بالبيماه فعثر على بكر جميلة المنظر وكانت ابنة احد اعيان المملكة لممتازين بالشرف والوجاهة والثروه والغنى فعقد النكاح واقام زفافه حافلا واهل ابنه بهذه الابنة الجميلة وبقدر ماكان ابن الوزير قبيح المنظر كانت هذه الابنه جميلة الصوره حاوية من الرقة واللطافة مايكل عنه الوصف ولما كانت تتزين بالحلي والملابس كان يزداد بهاؤها فتخجل نور البدور ولما كان زوجها يتسربل بالملابس الفاخره وكان يزداد قبح منظره فصح فيهما ماقاله الشاعر

خضبت انامله لخضب شيبه ليرد بالتمويه عصر شبابه

فازداد قبحا حين زاد جمالها شتان بين خضابها وخضابه

ولم تقض هذه الابنه مع زوجها الا اياما قليلة حتى ضجرت من مصاحبته وكانت في غالب الاوقات تبكي وتنوح على مصيبتها وسوء حظها فضعف جسمها وعيل صبرها ولم يعد لها طاقة هذه الشناعة ففي ليلة ما اذ كانت راقدة بجانب زوجها غلب عليه الحزن والسكد فقامت عند نتصاف الليل وتركته راقدا ووقفت في كشك يطل على الصحراء وجلست هناك مفتكرة ببلواها وعاقبة أمرها وكلما كانت تفتكر بقباحة وجه زوجها كانت الدموع تهطل من عينيها

وفي خلال ذلك سمعت صوتا في الصحراء وكانت تشعر باقترابه منها رويد رويدا حتى وصل الي تحت الكشك فنظرت الامرأه فرأت شابا جميل الصوره وعلامة الشجاعه تلوح على وجهه فشغفت بحبه ونادبته بلسان الالم وشكت له امرها وسوء حظها وماتقاسيه من شناعة زوجها وقبح منظره وغلاظة اخلاقه واخذت تكلمه بكلام فصيح لتحرك رافته

وترجته بان ينقذها من هذه المصيبه العظيمه فلما سمع هذا الشاب كلامها رق لها ووعدها بان ينقذها من مصيبها وكان هذا الشاب اسمه مغنى فعند ذلك تبدل حزنها فرحا فقامت لساعتها واتت بخدعها واخذت من الذهب والجواهر الثمينه مكان خفيف الحمل وثمينا جدا وتزينت بانخر الحلى والملابس وخرجت من بيتها لتو فى هذا الشابه الذي كان ينتظرها تحت الكشك ولما وصلت اليه اخذ يتفرس فيها فاذاهى جميلة المنظر وعليها من الحلى الفاخرة والملابس الثمينه مايكل عنه الوصف فعند ذلك فرح فرحا عظيما واخذها بيدها وسار بها حتى قطع مسافة طويله فأفضي في نهرعظيم يكن له قنطاره ليعبرا عليه فعند ذلك تحيرا في امرهما فقال مغنى للامراة انى تعلمت السباحة من صغرى فانزعي عنك ثيابك وكل ما معك من الحلى والجواهر وضعيها في صره وانا اعبر بها النهر فاضعها على الشاطىء ثم أرجع اليك واعبر بك فاذعنت له الامراه لسداجتها واعطته كل ما كان معها واما مغنى فأخذ ذلك كله وعبر به النهر سابحا ولما بلغ الشاطىء الآخر وقف هناك متفكرا ثم قال في نفسه ان الله يسر لى كنزا ثمينا فيجب ان اكتفى به واستغني عن هذه الامراه التي لالزوم لها بل ربما تكون سبب هلاكى والى اين اهرب بها من وجه ابن الوزير الذى سيتبعها برجاله لانه لاريب يحبها حباً شديدا فان اخذتها واخفيتها فى قرن الثور فلا بد من ان يجدوها فينتقموا منى فالاوفق ان اقنع بما فى يدى وادع فى هذه الامراه هنا حتى إذا افتقدها زوجها و يجدها وبعث رجالا يبحثون عنها ووجدها في هذا المكان يكتفون

بها ولا يلتفتون الى مافقد منها قال هذا وعول عليه فترك الامراه واخذ الحلى والجواهر وصار مسافر فلما رأت الامراه منه فى هـذه الخيانة دعته باسمه فلم يجبها بكلمة واحدة ولم يلتفت اليها وبقي سائرا بكل سرعة لينخلص بغنمة

فمند ذلك اخذت الامرأة تبكي وتنوح وبقيت حائرة عريانه لاتدري ماالعمل ولاالي اين تذهب وندمت على تسليم حوائجها الى هذا الشاب الخائن وبينما كانت على هذه الحاله نظرت يمنة وشمالا فرات على ضفة النهر ثعلبا فى فمه قطعة لحم انيليا كلها على الشاطيء وبيما كان ينهش اللحم راي في اثناه سمكة فطمع فيها وترك اللحمه وغاص في حتى يأخذ السمكة فلم يتمكن من ذلك ولما آيس منها رجع الى الشاطيء طالبا قطعه اللحم فلم يجدها فحزن حزنا شديدا وندم على مافرط منه من الطمع وصار ينظر يمينا وشمالا لعله يجدها واما الامرأه التى كانت ناظرة لذلك كله فلم تمالك من الضحك فضحكت وقالت ان جنس الثعلب يكون غالبا ذا فطنة وخداع واما هذا فانه على جانب عظيم من الحماقة لانه ترك رزقه الذي كان فى فمه واخذ في طلب المحال فلما نظرت اليه وقالت له الم تسمع ايها الثعلب حكاية تلك الارملة التي كان عندها دجاجة تبيض كل يوم بيضة واحدة فظنت الامرأة انها ازادت علف الدجاجة فتبيض كل يوم بيضتين فاخذت من ثم تطعمها وتزيد في علفها حتى انشقة حوصلتها وماتت فقال لها الثعلب ياسيدتى اصحي لي عن احوالك لان السؤال ليس من سوء الادب لماذا انت وحدك فى هذا المحل عريانه وما هى قصتك فشرحت الامرأة

حينئذ تقص عليه حكايتها وما اصابها من الاول الى الآخر

فلما سمع الثعلب حكايتها تبسم ضاحكا واخذ يستهزء بها قائلا حيث قد استهزءت بي أولا فحق لي ان اقول ومحترس من مثله حارس فحقا ايتها الامرأة الحكيمة ان حكايتي وحكايتك تشابهان حكاية الرجلين اللذين التقيا ببعضهما عند السحر فسألته الامرأة وماهي حكايتهما

حكاية الرجلين

قال الثعلب ان رجلا خرج من بيته عند انتصاف الليل وطفق يطوف في الشوارع وبينما كان سائرا نظر بغتة احد اصحابه وقبل ان يتعارفا قال له من طردك ياصاح من بيتك حتى قمت ليلا تطوف في في شوارع المدينة كالمجنون وصار اذ ذاك يطعن فيه ويوبخه فاجابه الآخر ياصاح قد وبختني لتطوافي في الليل لكنك اجدر مني بالتوبيخ لان من وبخ انسانا على سيئاته يجب ان يكون عاريا منها واما انت فقد شرعت بالتطواف قبلي فكيف تلومني وقد صح فيك قول الشاعر

قبيح من الانسان نسي عيوبه ويذكر عيبا في اخيه قد اختفي
فلو كان ذا عقل لما عاب غيره وفيه عيوب لو رآها بها اكتفي

فحقا انك على جانب عظيم من الحماقة لانك طويت عن عيوبك ونظرت الي عيوب غيرك فصدق فيك ماقيل من اشتغل بعيوب الناس فهو غافل عن عيوب نفسه ومن كان كذلك فهو احمق مجنون جدير بان يقطع رأسه ويطعم لحمه للنسور فلما سمع صاحبه هذا الكلام خجل منه وتركه وانصرف .

تم الجزء الاول — ويليه الثاني